مكتب آلبا برس
كوسوفا واتجاهات الفكر المعاصر

الأستاذ الدكتور/عبد الحليم عويس

المفكر الإسلامي

ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا

إعداد

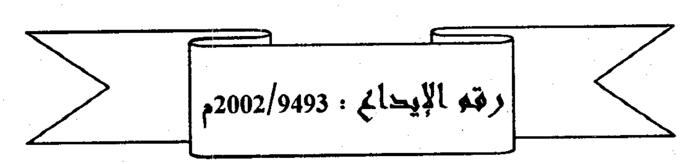
بكر إسماعيل

ممثل كوسوفا في مصر

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظة
لمؤسسة آلبا برس

الطبعة الأولى

2002م



العنوان :
31 ش أحمد حسني - رابعة العدوية - مدينة نصر
هاتف/فاكس : 4035912-00202
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم : فضيلة الأستاذ الدكتور/

أحمد عمر هاشم

رئيس جامعة الأزهر

تعد هذه الدراسة حلقة في سلسلة جهود الأخ الأستاذ/ بكر إسماعيل ،للدفاع عن الإسلام والمسلمين في ركن منسى ومجهول من أركان العالم الإسلامي،وهو بلاد البلقان التي تواطأ عليها الحكم الشيوعي،فلما جاء عصر الاستقلال،تواطأت قوى البشر، والصليبية والعنصرية فحولت الاستقلال إلى رغبة في الهيمنة والسيطرة،ومصادرة حقوق المسلمين في ممارسة شعائرهم والعودة إلى دينهم السمح الكريم.

إننا – نحن المسلمين – لم نقدم للبشرية إلا خيرا ،وهذه صفحات تاريخنا موجودة يقر بنصاعتها الموضوعيون والمنصفون من غير المسلمين..من مؤرخين ومفكرين .

ونحن مستعدون لعقد أى مقارنة بين تاريخنا وتواريخ الإنسانية جمعاء،ليعرف الناس جميعاً أننا الأنقى صفحة،والأقوم هديا،والأعظم أخلاقاً،والأكثر عدلاً وتسامحاً ورحمة.. وصدق الله العظيم الذي خاطب نبيه رسول الله محمداً عليه السلام بقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ولم يقل له

(رحمة للمسلمين) بل رحمة لكل العالم..الإنس والجن،والطيـــور والحيوانات ،والكون كله..

كما أن الله خاطبه-ﷺ -قائلاً:﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾.. وهى آية كريمة تمثل تاجاً لمحمد خـــاتم الأنبيـــاء عليـــه الصـــلاة والسلام،كما أنها تظهر للعالم كله أن هذا الدين دين أخـــلاق،وأن نبيه وإمامه عليه الصلاة والسلام هو إمام الأخلاقيين.

وما جرى لشعب كوسوفا هو نسخة مكررة مما جرى لشـــعب البوسنة والهرسك ،وللشيشان،ولفلسطين..فهذه الحضارة المعاديـة للدين والروح والمادية المبادئ،تستبيح دمـــاء البشـــرية بعامـــة والمسلمين بخاصة..وترى ذلك تطبيقاً لتعاليم التوراة التي تـــرى أن غير اليهود لا يستحقون الحياة.. سواء كانوا مســـلمين أو غـــير مسلمين.

وإنني لأشكر لأخي الدكتور/ عبد الحليـــم عويـــس جـــهوده في مناصرة قضية كوسوفا واهتمامه – كمفكر إســـلامي بالقضايـــا الإسلامية بعامة،كما أشكر للأستاذ / بكر إسمـــاعيل (منـــدوب كوسوفا في مصر) جهوده المشكورة .

وبالله التوفيق

الأستاذ الدكتور/أحمد عمر هاشم

رئيس جامعة الأزهر

مقدمة

الحمد لله وكفى،وصلاة على عباده الذين اصطفى.

وبعد،

فإن المشروع القيم الذي يستحق حمل أمانته حقاً هو المساهمة في إعداد وتقديم الأسس الفكرية والمنهاجية اللازمة لحركة الأمة،والذي يتطلب منا جميعاً بذل الجهد والوقت لبناء المنظومة الفكرية المعاصرة التي نستطيع من خلالها إعادة تشكيل العقل السليم وإعادة بنائه وفقا للتصور الإسلامي والمعايير الإسلامية الصحيحة،ذلك التصور المدرك لغايات الخلق،الواعي بكل أبعاده.

وبهذا نستطيع أن نغذي حركة الأمة الإسلامية بالزاد الفكري المطلوب الذي نفتقر إليه،وفي الوقت ذاته لابد من تتبع حركة الفكر الإسلامي والمفكرين ودورهم الريادي وعملهم المستمر لخدمة قضايا العالم الإسلامي،وشتى المجالات العلمية والفكرية والإنسانية،ورصدهم وتتبعهم وتحليلهم الدقيق لقضايا الفكر والعوامل المتنوعة التي أثرت فيه،ورصد إيجابياته وسلبياته،واجتهادهم الدائم للتطوير والتعديل طبقاً لمتطلبات العصر.

فالاجتهاد الفكري لابد منه في محاولة تجاوز آثار القراءات الاستشراقية،لذلك نرى أنه لابد من وجود مؤسسات متخصصة تتخذ من معالجة الأزمة الفكرية للأمة محوراً لنشاطها ومنطلقا لأهدافها،والعمل على تشكيل القيادات الفكرية على الساحة الإسلامية،حيث إن المشكلة المطلوب حلها في هذا العصر تتلخص في أمر واحد وهو :إلى أى مدى يستطيع العقل المسلم أن ينتج أفكاراً تساعد في حركة الأمة لجعلها قادرة على وصلها بالقيم والمبادئ الهادية لها في الكتاب والسنة.

إن الأزمة الحقيقية اليوم تتمثل في إيجاد الفكر المنبثق عن الإطار المرجعي،مع الأخذ في الاعتبار التغيرات الزمانية

والمكانية والفكر المتقن لعمليــات إرســاء هــذه القيــم فــي الواقــع،القــادر علــى تطبيــق المنــهج الإســلامي القويــم وحمايته،فكيف نجعل هذه الأفكار حية في عالمنا الحديث؟!!

وإنه ليسرني ويسعدني أن أقدم للقراء والمثقفين في شتى أنحاء العالم هذا البحث النفيس الذي يحمل عنوان" الأستاذ الدكتــور/ عبد الحليم عويس ودوره البارز فــي خدمــة قضايــا العــالم الإسلامي وقضية كوسوفا" والذي يصدر ضمن سلسلة ثقافيــة فكرية متميزة بعنوان" كوسوفا واتجاهات الفكر المعاصر"

وما ذلك إلا محاولة منا لبيان دور الفكــر والمفكريــن علــى الساحة المحلية والدولية،وكيف أنهم بمحاولاتهم للتجديــد فــي مناحى الفكر الإسلامي يلعبون دوراً فعالاً في نهضــة الأمــة وبناء صرحها الشامخ ،ومفكرنا في هذا العدد شخصية متمـيزة علما،ولغة، وأسلوبا،وقد حشد كل جــهده وإمكانياتــه لخدمــة الإسلام والمسلمين،وهو على درجة عالية من الفكر والثقافــة السليمة، وأنشطته العلمية تغطى أصعدة كثيرة داخــل مصــر وخارجها،كما أنه شخصية مرموقة بين طلاب العلم وعشــاق المعرفة، وسوف أتعرض فــي الصفحــات القادمــة لحياتــه العلمية،ونشاطاته وإسهاماته في مجال الفكر والتعليــم،ودوره في خدمة قضايا العالم الإسلامي بصفة عامة وقضية كوســوفا بصفة خاصة،ثم نذكر بعض المقالات من كتاباتــه النفيســة – والله ولي التوفيق

بكر إسماعيل
ممثل كوسوفا في مصر
Tel: 0105171438
القاهرة

حياة المفكر ونتاجه العلمي

الاسم : عبد الحليم عبد الفتاح محمد عويس.

المولد : ولد بتاريخ 1943/7/12م – بقرية سندسيس محافظة الغربية ،جمهورية مصر العربية .

مؤهلاته العلمية:

- حصل على الإجازة العالمية " الليسانس" في اللغة العربية والعلوم الإسلامية من جامعة القاهرة سنة 1968م كلية دار العلوم بمرتبة الشرف الثانية .
- ثم حصل على التخصص "الماجستير" في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية عن موضوعه " دولة بني حماد في الجزائر" من جامعة القاهرة سنة 1973م.
- ثم حصل على العالية " الدكتوراه " من جامعة القاهرة في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية في مارس سنة 1978م بمرتبة الشرف.

نشاطاته وإسهاماته العلمية :

لهذا المفكر الجليل نشاطات علمية وثقافية واسعة،كما أسهم بنصيب كبير في إثراء مجال البحث الفكري،ودرس في العديد من الدول،مما يشير إلى رسوخ قدمه في مجال البحث والدرس.

ومن أبرز نشاطاته:

○ عمل باحثاً بمراقبة المناهج بمركز بحوث المناهج والدراسات التربوية بالكويت في الفترة ما بين 1971م–1975م.

○ وعمل محاضراً لمادة الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في الفترة ما بين 1975–1977م.

○ وبعد حصوله على الدكتوراه سافر إلى السعودية حيث عين أستاذاً مساعداً،ثم أستاذاً مشاركاً،ثم أستاذاً بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض،وقد عمل في هذه الجامعة لمدة خمس عشرة سنة متتالية دون انقطاع،كما كان مستشاراً لمعالي رئيس الجامعة،ومتعاوناً لتسيير أعمال رابطة الجامعات الإسلامية.

○ وقد درس في جامعة الإمام محمد بن سعود مواد متعددة كلها تبحث في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية وتتلخص تلك المواد في :

[1] تاريخ المغرب العربي والأندلس " أسبانيا الإسلامية"

[2] التاريخ الحديث" تاريخ العرب والعالم الإسلامي الحديث والمعاصر".

[3] تاريخ الفرق والمذاهب والفكر الإسلامي.

[4] تفسير التاريخ "فلسفة التاريخ".

[5] التاريخ الإسلامي بكل مراحله.

[6] تاريخ الأنبياء " وهو جزء من التاريخ القديم ".

[7] السيرة النبوية.

❍ وقد أوفدته الجامعة أستاذاً زائراً لعدد كبير من الجامعات في الهند،وباكستان،وماليزيا،والجزائر وتونس ،والسودان، وتركيا،وغير ذلك.

❍ وقام بزيارات علمية وثقافية وفكرية للولايات المتحدة الأمريكية،وبريطانيا،وفرنسا،وألمانيا،وأسبانيا،وبلجيكا، وهولندا،ودول الخليج .

❍ قام بالاشتراك في الإعداد لعدد من المؤتمرات والندوات من خلال رابطة الجامعات الإسلامية بعضها في الخليج،وبعضها في مصر،ومن بينها سبعة مؤتمرات مع جامعات مصرية،كجامعة عين شمس،وجامعة الزقازيق،وجامعة المنوفية.

❍ قام بالتدريس في معهد الدراسات الأسيوية بجامعة الزقازيق خمس سنوات،ودرس المواد التالية:

[1] التاريخ الإسلامي كله في جميع مراحله.

[2] تاريخ الأديان في آسيا " اليهودية– المسيحية".

[3] الحضارة الهندية.

❍ وفي هذا المعهد قام بالإشراف على عدد من رسائل التخصص" الماجستير" والدكتوراه وناقش عدداً آخر.

❍ ساهم في الدعم العلمي والتربوي لإنشاء جامعة روتردام الإسلامية بهولندا،ويقوم بزيارتها لنحو شهر ونصف في كل

عام لضمان مسيرتها الأكاديمية،وقد درس بها المواد التاليــة " السيرة - العقيدة - التاريخ الإسلامي- التاريخ الأموى -التاريخ العباسي- علوم القرآن،الفرق والمذاهب"وقــد كلــف بإنشــاء الدارسات العليا بها،والإشراف عليها،وهو يحرص على ربطها بمصر والجامعات المصرية،والجامعة يتضاعف طلابها فــي كــل عــام،وتتطــور نشــاطاتها وصــور تفاعلــها مــع المجتمع الهولندي.

○ قام بتحرير" الملف الفقهي لجريدة الشرق الأوسط الدوليــة " لمدة خمس سنوات،وكان باباً ناجحاً،ولأجــل هــذا أصــدرت المؤسسة ملفاته في ثلاثة عشر كتاباً هى :

[العبادات في الإسلام - نظام الأسرة في الإسلام-مشــكلات الشباب في ضوء الإسلام-حقوق الإنسان في الإســلام-الفقــه الإسلامي بين التطور والثبات - قضايا المرأة فــي الإســلام- التكافل الاجتماعي في الإسلام- الرعاية الصحية في الإسلام- الوظائف الإسلامية فقــه وحضــارة- مشــكلات الاقتصــاد الإسلامي-تطبيق الشريعة- الطريق إلــى اقتصــاد إســلامي معاصر- الحدود في الشريعة الإسلامية]

وسائل علمية أشرف عليها المفكر أو ناقشها :

لقد ساهم هذا المفكر الجليل بجهود بناءة فــي ســبيل الرفعة بالفكر والمثقفين،فرغم جهوده العلمية ونشاطاته الثقافيــة الواسعة إلا أنه كان مربياً فاضلاً،فأشرف على نحو عشــرين

رسالة ماجستير،ودكتوراه في الحضارة والتاريخ الإسلامي من خلال عمله في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

وقد أشرف - أيضا- على رسالتين في مادة " الإعلام الإسلامي" بكلية الإعلام والدعوة بالرياض" رسالتى ماجستير".

كما أنه ناقش ما يزيد على عشرين رسالة بين ماجستير،ودكتوراه في الجامعات السعودية ،وناقش في مصر رسالة دكتوراه في جامعة عين شمس " كلية البنات" في فلسفة الحضارة،وأشرف على رسالة دكتوراه في كلية الآداب بجامعة الزقازيق" قسم التاريخ".

كما أشرف على عدد من رسائل الماجستير،وناقش عدداً آخر في المعهد الأسيوي"معهد الدارسات الأسيوية بجامعة الزقازيق".

وغير ذلك كثير مما يدل على رصيده الهائل في هذا المضمار،وتفوقه في البحث والدرس.

نتاجه العلمي والفكري:

يتمتع السيد الأستاذ الدكتور/ عبد الحليم عويس بشخصية علمية فذة،فهو مفكر مبدع متفنن،ذو ثقافة عالية، وخبرة واسعة،ودراية تامة بالتاريخ والحضارة والفلسفة الإسلامية،ذو باع طويل في معرفة المذاهب والفرق الكلامية.

فهو باحث منصف،ومفكر متفنن لعلومه وفنونه التي تعلمها،فكتب في التاريخ الإسلامي،والحضارة الإسلامية،والفلسفة التاريخية،والفقه الإسلامي،وحقوق الإنسان،وحماية المرأة في الإسلام ،والاقتصاد الإسلامي.

فشارك وأدلى بدلوه في مجالات ثقافية عديدة،وقد صنف وألف فأبدع،وتحلت مصنفاته كلها بالابتكار والإبداع،نخلاً وتعليقاً،ومنهجاً،وأسلوباً،ولغة،تميزت كتابته بالواقعية وملامسة الحقائق والوصول إليها أينما كانت دون حيد أو زيف،مما يجعل القارئ على ثقة تامة بما في كتبه من أبحاث ومقالات،ويطمئن اطمئناناً تاماً لما في مصنفاته من معلومات وتحقيقات واتجاهات فكرية.

فقد كتب المفكر الجليل عشرات البحوث الأكاديمية والإبداعية حول الفتح الإسلامي لمصر، ومسيرة مصر الإسلامية،وطبيعة التاريخ الإسلامي البشرية والمثالية،وفلسفة التاريخ في أفكار بديع الزمان النورسي،وأثر العرب والمسلمين في الحضارة الإنسانية والتاريخ الحضاري الإسلامي للقارة الهندية،ومشكلات التعليم في أفريقيا(جنوب الصحراء)،وغير ذلك.

وقد أشرف سيادته على إعداد موسوعة التاريخ الإسلامي في مختلف العصور " وقد اشترك في إعدادها نحو ثمانية أستاذ أكثرهم من مصر" وهى في نحو عشرة آلاف

صفحة وغير ذلك الكثير مما يدل على أنه أسهم بنصيب كبير في عملية التأليف والتصنيف ،ومصنفاته مطبوعة ينهل منها العالم ويغرف منها المتعلم،وهى تدل -بحق - على عمق فكر صاحبها،وتميز أسلوبه،وسلامة لغته،وعذوبة ألفاظه،مما يضف عليها رونقاً وجمالاً،كما أنها تضم بين حناياها أبحاثاً محققة تحقيقاً عجيباً فريداً لا نكاد نجده عند غير هذا المفكر الجليل.

ومن مؤلفاته القيمة:

[1] ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري.

[2] أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإصلاحي بالجزائر.

[3] أربعون سبباً في سقوط الأندلس.

[4] الإسلام كما ينبغي أن نؤمن به.

[5] أوراق ذابلة من حضارتنا الإسلامية.

[6] الإعلام الخليجي ودوره في مكافحة تيارات الإلحاد والانحراف.

[7] بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلي.

[8] أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم لأبي عبد الله محمد بن علي بن حماد.

[9] تفسير التاريخ علم إسلامي .

[10] التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس.

[11] ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة.

[12] ثوابت ضرورية في فقه الصحوة الإسلامية.

[13] حزب البعث نشأته - مبادئه - موقفه من الإسلام والعروبة.

[14] الدولة الحديثة بين الحقيقة والتزييف.

[15] دولة بنى حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري.

[16] شخصية الرسول ﷺ أمام المقاييس الإنسانية.

[17] الشيخ محمد الغزالى:صورة من حياة مجاهد عظيم.

[18] صور وبطولات من حضارتنا الإسلامية.

[19] العصبية القومية وأثرها في سقوط الأندلس.

[20] فقه التاريخ في ضوء أزمة المسلمين الحضارية.

[21] قضية إحراق طارق بن زياد للسفن بين الأسطورة والتاريخ.

[22] قضية نسب الفاطميين أمام منهج النقد التاريخي.

[23] المسلمون في معركة البقاء.

[24] أخلاق المسلم.

[25] سيرة الرسول ﷺ .

[26] تفسير كامل للقرآن للناشئين بالاشتراك مع الأستاذ / علي عبد المحسن جبر.

[27] تفسير موسع للناشئين للأجزاء الثلاثة الأخيرة من القران.

[28] عقيدتنا الإسلامية.

[29] تيارات حضارية في التاريخ الإسلامي.

[30] العبادات في الإسلام .

[31] قضايا المرأة في الإسلام.

[32] مشكلات الاقتصاد الإسلامي.

[33] الحدود في الشريعة الإسلامية.

[34] نظام الأسرة في الإسلام.

[35] تطبيق الشريعة الإسلامية.

[36] مشكلات الشباب في ضوء الإسلام.

[37] حقوق الإنسان في الإسلام.

[38] الفقه الإسلامي بين التطور والثبات.

[39] التكافل الاجتماعي في ضوء الفقه الإسلامي.

[40] الطريق إلى اقتصاد إسلامي معاصر.

[41] الرعاية الصحية في الإسلام.

[42] الوظائف الإسلامية - فقه وحضارة.

[43] العقل المسلم في مرحلة الغزو الفكري.

[44] الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل.

[45] التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون.

[46] الفكر الإسلامي والمشروع الفكري الغربي.

[47] لا نزاع بين الدين والعلم.

[48] بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ.

[49] مواقف إسلامية رائعة.

[50] الأزمة الحضارية الراهنة ودرس الأندلس.

[51] بنو أمية بين السقوط والانتحار.

[52] كتابات على بوابة المستقبل الإسـلامي بالاشـتراك مـع الدكتور/عماد الدين خليل.

[53] الشيخ محمد الغزالى،تاريخه،وجهوده،وآراؤه .

[54] الإسلام وتحديات العصر.



دوره في خدمة قضايا العالم الإسلامي

إن المفكر الجليل السيد الأستاذ الدكتور/ عبد الحليم عويس من الشخصيات النادرة،والتي يبخل الزمان أن يجود بمثلها.

حلف الزمان ليأتين بمثله * * * حنثت يمينك يا زمان فكفر

فهو من الرجال القلائل الذين تحمسوا لدينهم وإسلامهم،ولعل ما يدفعني إلى القول بذلك هو حجم الأفكار الهائل المتين الذي أثبته وانتجه هذا المفكر الكبير.

فمن خلال دراسة حياته العلمية ونشاطاته وإسهاماته الثقافية يتضح لنا بلا شك ولا ريب أنه شخصية إسلامية فذة،تحفظ الواقع حفظاً جيداً،وتعرف الحقائق وأينما تكمن ، إذا ما تحدث لا يجانب الحقيقة،ولا يبعد عن الواقع،وتلك ميزة لا تتوفر لكثر من غيره،وقد عالج الكثير من قضايا العالم الإسلامي في كل مكان حل فيه أو ارتحل منه،فعالج قضية الأسرة المسلمة في كتابه " نظام الأسرة في الإسلام"،وعالج مشكلة الشباب من الوجهة الإسلامية وفي ضوء الإسلام ، وتحدث عن حقوق الإنسان فكراً وواقعاً،وتحدث عن الحضارة الإسلامية وعالج مشكلاتها وما يعترضها من عقبات،وعالج قضية الثقافة،فبين وشرح ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة،وتحدث عن الاقتصاد الإسلامي وعالج مشكلاته،وتكلم عن كيفية تطبيق الشريعة الإسلامية في

مجتمعاتنا، وتحدث عن التكافل الاجتماعي بين المسلم من وجهة النظر الإسلامية،وتكلم عن الفكر والمفكرين والمشروع الفكري الغربي.

وهذه كلها قضايا حيوية تستحق البحث والمعالجة،فغاص عليها المفكر بثاقب فكره،وأعمل فيها جهده وذهنه،وعالجها معالجة موضوعية مراعياً الواقع والحال والزمان والمكان،وبين موقف العقل المسلم في مرحلة الغزو الفكرى،وما يتطلبه من أمور وأحوال.

فشخصيتنا عاش واقع العالم الإسلامي وقضاياه الحيوية داخلية وخارجية،وحاول بشتى الطرق والوسائل المتاحة اقتراح ووضع الحلول اللازمة لحل الأزمات.

أما بالنسبة لعلاقات أوروبا بالعالم الإسلامي – خاصة علاقاته بتلك الدول التي تعيش في أوروبا نفسها فقد -صوره المفكر تصويراً دقيقاً،وبين حقيقة المبادئ المزيفة التي يتستر وراءها الغرب الملحد،وتلك الديمقراطية المشينة التي يتمسك بها،معلناً المفكر أن جنة أوروبا الذين يتشدقون بها في الحقيقة لا يدخلها إلا المخصصون من أوربا نفسها،أما المسلمون فلا يدخلونها لأنهم مسلمون.

وقد نبه المفكر على أن أوروبا وأمريكا وكل من يسير وراءهم يلعبون بعقول الناس وعواطفهم في ادعائهم أنهم يحافظون على حقوق الناس وحرياتهم.

ولكي تقف أيها القارئ الكريم على وصف دقيق لهذه الصورة وليتبين لك مدى مساهمة المفكر في خدمة قضايا العالم الإسلامي،فأسوق لك كلاماً قيماً نفيساً للمفكر ،وقد قاله تحت عنوان:

بيان لذوي البصائر

حيث قال:" تقدم لنا تجربة أوروبا مع الدولة الإسلامية في البلقان سواء في عهد ما كان يعرف بيوغسلافيا الشيوعية أم في عهد تفكك يوغسلافيا وظهور المد الليبرالى أو الديمقراطي المزعوم،ففي الحالتين عانى المسلمون الكثير وتعرضوا لأبشع صور الحرمان من الحقوق الأساسية للإنسان.

لقد قدمت أوروبا في البوسنة والهرسك وفي كوسوفا وفي ألبانيا وفي الجبل الأسود..أيضا مع الأقليات المسلمة الموجودة في أوروبا الشرقية والغربية..قدمت مع هؤلاء،ومع البلاد الإسلامية التي احتلتها خلال فترات طويلة من القرنين التاسع عشر والعشرين.. نموذجها الحضاري الواقعي الذي لا يحتاج إلى طلاء،أو تحريف،أو تمويه..وكم هى كثيرة وعميقة جداً تلك الكتب التي صدرت عن أوروبا وأمريكا باللغات المختلفة عن حقوق الإنسان،وعن جنة الديمقراطية التي يجب على العالم كله أن يدخلها..لكن العالم-كله الآن والحمد لله قد أصبح يعرف جيداً حقيقة الجنة الأوروبية،وحقيقة شعارات

الديمقراطية والحرية فكلها بضاعة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب..وكلها بضاعة عنصرية من حق أصحابها وحدهم أن يتمتعوا بها..أما غيرهم حتى في داخل بلادهم أو في داخل قارتهم الأوروبية التي من المفروض أن تكون جنة لكل الذين يعيشون فيها،وأن تقدم تجربة في داخلها وفي تعاملها مع الخارج تسمح بالاحتذاء،والسير على منوالها..أما هؤلاء الأغيار أو الآخر بحسب تعبير أهل هذه الحضارة،فهم لا يستحقون هذه الحياة الأوروبية،أي لا يستحقون أن يكونوا من أهل هذه الجنة..

ولكن المشكلة الخطيرة أن هناك ناساً مساكين يولدون في داخل بلاد أوروبا نفسها فماذا يفعل هؤلاء المساكين إذن..؟!!

إن أوروبا تطالبهم بترك دينهم وقوميتهم ولغتهم..فكيف يستطيع هؤلاء أن يفعلوا هذا؟كيف يمكن للإنسان أن ينسلخ من عقيدته بالإكراه والإجبار،وطرق القمع البوليسية،والتطرف في الإبادة الجماعية وقتل النساء والشيوخ والأطفال في صعيد واحد؟إن أوروبا تريد من المسلمين أن يقفوا في الشوارع العامة هاتفين بأعلى أصواتهم قائلين:لقد تركنا الإسلام، وسنشرب الخمور،ونأكل لحم الخنزير،ونتعامل بالربا،ونرتاد بيوت الفساد نحن وأبناؤنا..وعندما يقولون ذلك،يجب أن يبرهنوا على صدق ما يقولون،فلا يتزوجون بالطريقة الإسلامية،ولا يذبحون ذبائحهم على الطريقة

الإسلامية..ولا يلبس نساؤهم الحجاب..بل يخرجن إلى الناس كاسيات عاريات..مائلات مميلات..كاشفات عن الصدور والسيقان وبعض الظهور..رؤوسهم كأسنمة البخت عند الكوافير الرجال.

وعليهم-أيضا-أن ينسوا لغتهم وقوميتهم،وأن يذوبوا تماماً في اللغات الأوربيات المختلفة فيما بينها..التي يتعصب فيها كل شعب بلغته حتى الموت ولم تفلح الوحدة الأوروبية في مجرد الحديث عن إلغائها..فالفرنسيون هم أشد الناس تعصباً للفرنسية والثقافة الفرنكفونية..والألمان متعصبون كل التعصب للألمانية..والإنجليز والأمريكان وراءهم يتعصبون للإنجليزية..وحتى الهولنديون والبلجيك تتعصب كل دولة منها للغتها..أما المسلمون وحدهم ولو كانوا أوربيين فعليهم أن يتركوا لغتهم..وأن يغيروا الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية،وأن تكون لغاتهم لغات ميتة محنطة تدرس كما تدرس لغات الكتاب المقدس المندثرة..أما اللغات الحية فهى لغات الأوربيين وحدهم؛لأنهم فقط هم الذين يملكون حضارات ويملكون أفكاراً وثقافات،أما المسلمون الذين قادوا العالم لعشرة قرون بينما كانت أوربا غارقة في ظلام العصور الوسطى..وأما الصينيون الذين عرفوا بالحكمة والتفلسف منذ آلاف السنين قبل الميلاد..وأما الهنود واليابانيون وقدماء المصريين..أما هؤلاء جميعاً فهم لا يستحقون الحياة من

منظور الحضارة الأوروبية المركزية العنصرية الأحادية الرؤية!!.

إننا أمام ظاهرة خطيرة توشك أن تجر البشرية إلى تفكك كامل..والعجيب أن هذه الظاهرة الخبيثة الخطيرة تحظى بعطف وتأييد صريحين تارة..وغير صريحين تارة أخرى من كل أوروبا وأمريكا على السواء.

فضلا عن اليهود الذين يقودونهم كما ينقاد العميان..

وتمضى المنظمات الدولية وراء هؤلاء كأنها لعبة في أيديهم بعد أن فقدت كل معاني استقلالها وأصبحت مطية ذلولا للصهيونية والصليبية .. والقوى الدائرة في فلكهما.

إن مسلمى البوسنة والهرسك ومسلمي ألبانيا وكوسوفا يمثلون أكبر الضحايا لهذه الظاهرة العنصرية الخطيرة،وذنبهم الأكبر أنهم مسلمون أوربيون ينتمون إلى قوميات انتشر فيها الإسلام منذ قرون طويلة..

ومنذ تفككت يوغسلافيا الشيوعية التي كان (جوزيف تيتو) يحكمها بالحديد والنار والأسلوب البوليسي- والمسلمون يبحثون عن وجودهم وهويتهم وذاتيتهم الإسلامية،مثلما تبحث كل الطوائف في العالم عن ذاتها بعد أن ينقشع ظلام الحكم الإرهابي الشمولي الشيوعي..وقد كانوا يظنون خيراً في الحضارة الأوروبية تلك التي كانت تحارب الشيوعية في العالم على أساس أنها تصادر حقوق الإنسان،وحريته،وتعادى

الأديان،وتقطع الصلة بـــالله،وتســتهين بالدمـــاء ولا تحـــترم القوانين، لكن أوربا خيبت كل الظنون فاستثنت المسلمين فـــي كل هذه الحقوق،بل فعلت بالمسلمين أكثر ممـــا فعلــت بــهم الشيوعية؛ذلك لأن الشيوعية كانت واضحة في كفرهـــا وفـــي أساليبها البوليسية وبالتالي تحاش المسلمون الصدام بـــها،أمـــا الأســـاليب الأوروبيـــة (الديمقراطيـــة والليبراليـــة) فـــهي أساليب(نفاقية) تلعب بالشعارات، وتقول غير ما تفعل،وتلعـــب بعقول الناس وعواطفهم،بل إنها لتتظاهر بالوقوف معهم،وتـأييد سيادتهم وحقوقهم الإنسانية؛وذلك لتدفعهم دفعاً عنيفاً لمحاولـــة نيل حقوقهم فسرعان ما يكتشفون أنهم وقعـــوا ضحيـــة(لعبـــة أوربية محكمة) بل إن أوربا وأمريكا..ليتماديان فـــي اللعـــب بالكلمات،ودفع الأمور على كل الجبهات ليقع الصدام..وليدفـــع الشعب المسلم الضعيف الثمن غالياً عندما يكتشف أنـــه غـــرر به،ليواجه قوة كبيرة غاشمة تدعمهما الصهيونية والصليبية من وراء ستار، بينما تسن القوانين بمنع المتحاربين،وهي تقصـــد (منع تسليم السلاح للضعيف المسلم)الذي لا يجد ما يدافع عـن أرضه وبيوته وأعراضه وأمواله ومساجده!!

إن تجربة الدول والقوميات الإسلامية الأوروبية التـــي وقعت تحت جحيم الشيوعية- أولاً والديمقراطية الصليبيـــة - ثانياً- تمثل صفحة سوداء في تاريخ البشـــرية وهـــي إدانـــة تاريخية واضحة للديمقراطية الغربية وللمســـيحية الأوروبيـــة

البعيدة كل البعد عن مسيحية الشرق.. القريبة من روح المسيح العظيم عليه الصلاة والسلام..

دوره في خدمة قضية كوسوفا ورأيه الشخصي في دور ممثل كوسوفا في مصر

السيد الأستاذ الدكتور/ عبد الحليم عويس عاش جراح العالم الإسلامي وآلامه في كل مكان،وهب بروحه ووجدانه ولسانه وقلمه يداوى الجروح ويدعو إلى التذرع بالصبر والثبات، فمهما طال الليل فلابد من طلوع الفجر،وقد كتب المفكر الجليل مقالاً قيماً لبيان المرحلة التي وصلت إليها كوسوفا بعد تلك النازلة الكبرى والداهية العظمى والمذبحة الدموية التي وقعت لذلك الشعب المقهور والمغلوب على أمره.

وهذا المفكر يعد- بحق -من المناضلين عن شعب كوسوفا وقضيته،ولابد من قراءة أفكاره في هذا المجال،فكلامه رائع جداً ينمى الشعور بالوطنية ويرفع الروح المعنوية،ويجلى الحقائق كما هى لا كما يذكرها الآخرون.

وقد كتب مقالاً نفيساً عن قضية كوسوفا وما تعرضت له على يد العدوان الصربي،ووصف دور ممثل كوسوفا في مصر وصفاً دقيقاً،فقال :ولقد أكرمنا الله.. في مصر الأزهر.. مصر الرائدة الفكرية للعالمين العربي والإسلامي (ونسأل الله أن تبقى كذلك) بوجود أخ فاضل هو فضيلة الشيخ / بكر إسماعيل الكوسوفي مولداً، الأزهري ثقافة.الذي يجيد

العربية،ولغته الوطنية،فكان معنا في عالمنا العربـــي ومصـــر بخاصة- خلال السنوات الخمسة عشر الأخيرة التـــي شـــهدت هذه الملحمة الدموية على الأرض الأوروبية.. ملحمة البوســنة والهرسك بقيادة الزعيم الرئيس المثقف العالمي الدكتور علـــي عزت بيجوفتش،وملحمة ألبانيا،وملحمة كوسوفا ..وكـــان الأخ الصديق/بكر إسماعيل جســـراً رائعـــاً ينقـــل إلـــى النـــاطقين بالعربية- وربما بغيرها- وقائع الملحمة يوماً بيوم- ويقدم إلينا ساحة المعركة على الأرض البلقانية،بين شعب مسلم أوروبـــي يريد أن يعيش بدينه ولدينه، مع احترام كامل لعقائد الآخريـــن وثقافاتهم وجنسياتهم ..وبين صربييـــن وأوربييـــن متعصبيـــن يرفضون.. بالفعل والقوة والإرهاب والإبادة- أن يتمتع هـؤلاء المسلمون بهذه الحقوق..يمكرون بهم فيعطونهم الكلمات الرنانة والوعود المعسولة - بالنهار..أما الليــــل فيعطـــون الأســـلحة لأعدائهم ..ويجاهدون بالأساليب الدبلوماسية فيعطلــــون كـــل قرار إيجابي ضد الظالم والمعتدي ويتظاهرون بأنهم القـــاضي العادل.. بينما يقومون في الحقيقة بالتهيئـــــة لتمكيـــن الظـــالم العنصري من الإجهاز على فريسته الضعيفة المقهورة الباحثـــة عن حقها في الحيــــاة.. كمـــا تريـــد لنفســـها لا كمـــا يريـــد الآخرون بها..

نقل إلينا الأخ / بكر إسماعيل الوقائع كما هى.. لأنـــها لا تحتاج إلى تحليل،فهى ناطقة بذاتها على الغابية والحيوانية البعيدة عن

كل دين وحضارة.ودعم ما ينقله بالأرقام وبالوثائق وبأقوال الشهود.. وكثير منهم أوربيون لهم ضمائر.. (صحافيون أو مفكرون).

كانوا يركزون على هتك الأعراض واغتصاب النساء والبيوت،وقتل الأطفال وهدم المساجد، بل كانوا يتلذذون بذلك ويلعبون القمار بأرواح الناس ويفعلون ما تعف الوحوش أن تفعله ببعضها.. ليظهروا لنا عظمة القرآن الكريم عندما يصف انحدار الإنسان عندما يتحرك بلا ضمير أو دين فيقول سبحان الله وتعالى في الكتاب الكريم ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ** ﴾ .

نعم:إنها ملحمة تصور الإنسان وهو في مرحلة (أسفل سافلين) فهو سفول لا يستطيع الحيوان أن يهبط إلى مستواه.. لكن إنسان أوربا المتحضرة يمارسه ويعيشه،ويجد له المبررات القانونية،بينما يقيم الجمعيات (للرفق بالحيوان) !!.

عاش بكر إسماعيل بيننا في مصر.. مسلماً ملتزماً.بقضية دينه وشعوب البلقان..مجاهداً في سبيل أن يتواصل التفاعل بيننا وبينهم.فالمؤمنون ذمة واحدة على من عاداهم..وهم يد واحدة في الحق..وقلب واحد في الحب والولاء والبراء.ولكي يؤدى رسالته كان عليه أن يجمع بين الثقافة الشرعية والثقافة العصرية وبخاصة الثقافة الدبلوماسية والإعلامية،وكان عليه أن يتواصل مع هيئات متعددة في البلاد

العربية.وهيئات مناظرة لها في بلاد البلقان.وقد ساعده على تحقيق ذلك أنه كان ممثلاً رسمياً لكوسوفا في مصر.. وممثلاً للمشيخة الإسلامية لجمهورية ألبانيا في القاهرة،وللمشيخة الإسلامية لجمهورية مقدونيا بالقاهرة.. كما كان مندوباً في بعض الصحف للوكالات الإعلامية في ألبانيا وكوسوفا ومقدونيا والبوسنة والهرسك.

وكما ألمعنا سلفا فإنه كان يعمد إلى تحليل وتقديم الأحداث والوقائع مع تقديم نبذة إجمالية عنها وعن اتجاهاتها وأبرز خططها،ثم يعمد بعد ذلك إلى تقديم الأحداث يوماً بيوم كنماذج مختارة من الصحافة البلقانية.

ويمضى الباحث في تقديم الحقائق حول الواقع الألباني مركزاً على التقارير التي تتبع مظاهر القمع والاضطهاد من جانب الصرب،وحلفائهم الأوربيين المؤيدين بالصمت تارة وبالمساعدات السرية تارة أخرى،وبتعطيل القوانين وحقوق الإنسان الدولية تارة ثالثة!!.

إنهم يمنعون الألبان من التعليم الحقيقي العصري..ويصادرون المناهج والمقررات المتصلة بدينهم ولغتهم وتاريخهم وحضارتهم،ويحرمونهم من الوظائف..وهى صور من المظالم تحرمها القوانين الدولية.. لكن أوربا الديمقراطية والليبرالية والعلمانية تسكت عنها ما دام الأمر يتصل بالمسلمين المستضعفين الذين لا ناصر لهم إلا

الله،وبعض أفراد ومؤسسات إسلامية تحاول أن تعاونهم في ظروف بالغة الصعوبة والتعقيد!!.

وبالجانبين معاً..جانب الحقائق..والنظرة المركبة..من جانب،وجانب الوثائق والشهود من جانب آخر..تكتمل حلقة البحث.كما تكتمل مفردات المنهج شبه الثابت لكتابة الشيخ/بكر إسماعيل ..الفقيه والإعلامي والدبلوماسي معاً..جزاه الله خيراً وأعانه على القيام برسالته،وأراه.وأرانا يوما يعود فيه المسلمون إلى مجدهم وعزهم وتمكينهم في الأرض، لا ليكرروا التجارب المرة التي ذاقتها البشرية من الحضارة الأوروبية ..بل ليقدموا العدل والتسامح واحترام الآخرين وتوفير الحماية لحقوق الإنسان.. تحقيقاً لرسالة رسولهم الكريم محمد ﷺ الذي حدد الله له رسالته بقوله ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ ..ولولا عدلهم ورحمتهم لما بقى في الهند من يعبد البقرة،ولما أبقى صلاح الدين من عشرات الآلوف الأسيرة من يعود إلى أوربا سالماً.. ليعود أحفادهم لإبادة المسلمين على هذا النحو.. لكننا ننفذ ما أمرنا الله،لأننا نؤمن بأن الحق سيزهق الباطل،وبأن العاقبة للمتقين،وبأنه لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله..مهما طال الزمان .والله غالب على أمره،ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

***

تعرفت على هذا المفكر الجليل من عدة سنوات من خلال الدراسة،والندوات،والاجتماعات ووسائل الإعلام،وبعد ذلك قمت بزيارته في بيته بالقاهرة،ثم تكررت الزيارة منفرداً ومع الوفود الإسلامية القادمة من مقدونيا،وكوسوفا،وألبانيا،وغير ذلك.

وقد رأيت في سماحته الرجل المفضال العالم الجليل،الذي يعنى- بحق- بقضايا العالم الإسلامي،وكان دائما يقدم خدماته للإسلام والمسلمين،وكان سريعاً في تلبية الاحتياجات،يعالج القضايا والموضوعات بصورة موضوعية وبشجاعة لا مثيل لها،وذلك منه خدمة للدين وقضايا المسلمين،وخدمة للغة العربية وأبنائها،كما أنني وجدت سيادته على درجة عالية من التفكير والتركيز،شديد الفهم لما يدور في أذهان العالم الغربي بالنسبة لما يتعلق بقضايا المسلمين واتجاهاتهم،وهو مفكر ذو تأثير قوى على كل من يقابله،فعندما التقى بمفكرى كوسوفا أثر فيهم تأثيراً شديداً لدرجة أنهم عندما سافروا إلى كوسوفا أخذوا يفكرون في طريقته ومنهجيته ومعالجته الحاسمة للموضوعات،وقد شغل أذهانهم،ولا يزالون يطلبون مؤلفاته ومصنفاته لقراءتها والاطلاع عليها،نظراً لما

تحتوى عليه من تراث علمي ضخم،ونتاج فكرى كبير،فقد استولى المفكر بفعله وعلمه على ألباب المحصلين والمفكرين من أبناء كوسوفا.

وقد وجدت فيه- حقاً- أنه يخوض غمار البحث في القضايا بهمة ونشاط لم يسبق لهما مثيل،ويسخر قلمه وفكره لأجل الإسلام والمسلمين ،ذو بصر نافذ في تفهم القضايا والحكم عليها.

أسال الله أن يطيل في عمره ،ويبارك في علمه،إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير،وأنه نعم المولى ونعم النصير.



مقالات وأبحاث للمفكر

لقد تحلت مصنفات الدكتور / عبد الحليم عويس بالابتكار والتميز لغة وأسلوباً منهجاً ونخلاً وتعليقاً، وقد كتب في ثنايا مصنفاته أبحاثاً نفيسة قيمة تفيد القارئ والمثقف فائدة عظيمة ،فإن الواقف على كتاباته يتشبع بالأدب الرفيع، والعلم البديع،والثقافة البيضاء الناصعة البعيدة عن التعصب والهوى، وكتاباته تتميز بالواقعية ومعالجة القضايا بصورة موضوعية، بحيث إذا ما وقف عليها القارئ اقتنع اقتناعاً تاماً بأن المؤلف على درجة عليا من التحقيق والإتقان والمعرفة .

ومن بديع ما كتب أنه كتب مقالاً بعنوان: (ضرورة الثقافة الإسلامية ، وتطورها ، وأثبت أن الثقافة الإسلامية إنقاذاً للإنسانية المعاصرة) وقد أبدع في ذلك وأجاد وكتب أيضا تحت عنوان : (الإسلام والتيارات الاجتماعية الحديثة) وقد أفاد فيه وأجاد أيضا، وله كتابات قيمة أخرى.

ونحن هنا في هذا المقام يجدر بنا أن نذكر طرفا من كتابات هذا المفكر الجليل لتتم الاستفادة من الكتابة عن شخصيته.

مقالات وأبحاث للمفكر الإسلامي

الأستاذ الدكتور/
عبد الحليم عويس

ضرورة الثقافة الإسلامية

في هـــذا العصـــر الـــذي يعـــج بشـــتى التيـــارات والأفكار،وتكاد فيه الآراء والاتجاهات تفرض نفســـها فرضـــاً على كل إنسان،بقوة المذياع والتلفاز والصحافـــة..فـــي هـــذا العصر الذي يسميه البعض عصر الصـــــراع" الأيديولوجـــي" والذي يبلغ فيه صراع الكلمة أقصى مداه على امتـــداد الكـــرة الأرضية!!.

أجل.. في هذا العصر،الذي ترصد فيه مئات الملاييـن من أجل الغزو الحضاري والثقافي،وتقام فيه جيـــوش غـــزاة الفكر ناشري المذاهب ،والتصورات.

في هذا العصر ..تبدو الثقافـــة الإســـلامية ضـــرورة وجود بالنسبة للإنسان المسلم،ولم يعد ممكناً أن نغلـــق علـــى الشباب المسلم،أو المثقف المسلم الأبواب،ونظن أننا يمكـــن أن ننـــام مطمئنيـــن،وأن" لصـــوص" الفكـــر لـــن يســـــتطيعوا اقتحام الأبواب.

إن الفكر يدخل في هذا العصـــر مـــع الـــهواء..مـــع موجات الأثير،ويسير معك في السيارة،ويقتحم عليـــك غـــرف النوم.. عارضاً نفسه بأكثر الألوان تشويقاً وجذباً.

والحل الوحيد- إذن- أن يقاوم الفكر الإسلامي الفكـــر الإلحادي،وأن نبنى من عقيدتنـــا وشـــريعتنا وقيمنـــا وتراثنـــا وفكرنا" ثقافة إسلامية" لا تقف معنا في دحض الهجوم الفكـــوي

الضار فحسب،بل تصلح-بما فيها من عناصر الصمود والبقاء والصلاح- في أن تدفعنا لتقديم فكرنا للعالم كله.. باعتباره فكراً قوياً،وليس قادراً،وليس باعتباره فكراً خائفاً متوازياً يخشى على نفسه لفحة البرد،أو لفحة الحر،أو ميكروباً هزيلاً.

وبين هذا الركام والتيه من التصورات التي تدفعها حضارة العصر،وتجلب معها القلق والاضطراب الفكري والضياع،وتفقد الإنسانية طعم الحياة،وتجعلها تعيش في شبه غابة يدور فيها الصراع بين القطعان ،وتدفعها رغائب مادية بحتة،ولا بقاء فيها إلا للأقوى والأكثر مكراً ودهاء واللاأخلاقية..

بين زحام هذه التصورات التي توشك أن تفقد الإنسان المسلم ذاته وهويته فكراً وسلوكاً،تبدو أهمية-بل وضرورة- الثقافة الإسلامية..

إننا أمة لنا خصائصنا المميزة،ولنا كياننا الحضاري،ولنا تاريخنا العريق،الذي يحمل أروع صفحات المجد والعزة،وإن لنا من الأيادى على البشرية مالا ينكره إلا جاحد ،ولازالت المبادئ والأصول التي صنعت لنا هذا التاريخ موجودة بيننا وقادرة بإذن الله على أن تضعنا في نفس المكان الذي كنا فيه أيام الراشدين،وأيام الأمويين في المشرق والأندلس،وأيام العباسيين،وأيام الأيوبيين والمماليك،والعثمانيين فاتحى القسطنطينية.

بل إننا حين نقف في عالم اليوم،متدثرين بهذا الكيان الحضاري،متفاعلين به،فإننا سنحظى باحترام العالم نفسه..إنه عالم مفكر يحترم أصحاب الفكر الأصيل وليس المستورد الدخيل..إنه يحترم من يصارونه لا من يقلدونه تقليد القرود.

وبالتالي.. فالثقافة الإسلامية هى فكرنا،وهى سلاحنا في الصراع العالمي،" وهى الدرع الواقى،والحصن المنيع الذي يمنع عنا أخطار المجابهة الفكرية والتحدى الحضاري الذي يهدد كيان أمتنا وشخصيتها،ومن واجب كل فرد منا أن يتحسس مخاطر هذه الظاهرة،فيحمى نفسه وأسرته ومجتمعه من ذلك الخطر الذي تحرص الحضارة المعاصرة على ترسيخه في أذهاننا ،متمثلاً في توهين القيم الروحية والفكرية التي تقوم عليها ثقافتنا،مستخدمة في ذلك جيشاً لجباً من المستشرقين الذين يلبسون مسوح الرهبان والقديسين،فيطوفون الأقطار الإسلامية،ويحملون مشاعل المحبة والسلام والوئام،في الوقت الذي ينخرون -كالسوس - في عظام هذه الأمة،ليتساقط[1] هيكلها العظمى بعد حين،وليكون عاجزاً عن مقاومة غزوهم الفكري المدمر ومثلهم - وفي نفس المستوى- جيوش الماديين الجدليين"الشيوعيين" أو الاشتراكيين،الذين يقفون في موقع آخر يحاولون منه إيجاد ثغرة يرمون منها

[1] د/ محمد فاروق النبهان:"مبادئ الثقافة الإسلامية" 77نشر دار البحوث العلمية بالكويت.

سهامهم للوصول إلى الهدف المشترك،وهو الاستيلاء على عقولنا وقلوبنا ومسخ حضارتنا وتاريخنا.. وتحويلنا إلى أشباه مثقفين،نلوك ثقافة تختلف– في روحها وبنائها الفكري ومثلها وقيمها وأهدافها– عن ثقافتنا الإسلامية.

وعلى ضوء هذه الضروات التي توجب الاهتمام بالثقافة الإسلامية،نستطيع أن نحدد الأساسيات التي تقوم بها الثقافة الإسلامية للأمة الإسلامية في العصر الحديث،وفي معترك الصراع الفكري.

إنها تستطيع تقديم التصور الإسلامي الشامل والنظرة الكلية للحياة،بما يدور فيها من نشاط مختلف يرتد كله على أصول واحدة.

وهى تقدم هذا التصور من خلال تجربة الإسلام الحضارية المتكاملة.

وهى كفيلة بإحياء الانتماء للإسلام ولأمته،وتزكية روح العمل به،وبيان دوره الأساسي في علاج واقع الأمة الإسلامية [2].

وهى - كذلك - تصل حاضرنا ومستقبلنا في عالم المتغيرات،والتكنولوجيا المتطورة،بماضينا الزاخر الدافع

(2) انظر:د/أحمد العسال،مقال مادة الثقافة الإسلامية مجلة المسلم المعاصر،عدد15.

لمستقبل وضيء مادياً وروحياً تتوازن فيه أساسيات الحياة وتتعاون ولا تتناقض.

ومن هذه الأهداف - وغيرها- تستمد الثقافة الإسلامية مكانتها، وأهمية دورها في حياة المسلم المعاصر.



الثقافة الإسلامية.. متطورة دائما

لا مراء في أن أصول الثقافة الإسلامية وركائز تصورها ثابتة،لأنها حقائق كلية كبرى،وضعها الخالق..سبحانه..صالحة لكل زمان ومكان،وقادرة على قيادة كل مراحل التاريخ.

لكن هذه الأسس وهذه الركائز تتفرع عنها قضايا معاشية أو تطبيقية سلوكية في مجالات الاجتماع والاقتصاد والسياسة،وبالتالي فإن على الثقافة الإسلامية أن تعد من الوسائل المعاصرة ما يمكن من تطبيق هذه الأصول الكلية الإسلامية.. وبالتحديد تلتزم حركة الفكر الإسلامي بحيث يتمكن العقل الإسلامي من تطبيق النظم الإسلامية في مجالات الحياة المختلفة ،اقتصادية واجتماعية وسياسية.

ولا يكفى أن ترفض الثقافة الإسلامية المفاهيم المتعارضة مع الإسلام كما نصت على ذلك أصولها،بل يجب أن تقدم" البدائل" التي تظهر إمكانية التطبيق للمبادئ الإسلامية.

فإذا رفض الإسلام"الربا"- وبالتالي البنوك الربوية- وجب على الثقافة الإسلامية أن تقدم أسس إقامة بنوك إسلامية لا ربوية تدر عائداً طيباً،وتقوم بالخدمات المصرفية دون اللجوء إلى التعامل الربوي ،وإذا رفض الإسلام الفنون والآداب العابثة اللاهادفة،وجب على الثقافة الإسلامية أن تقدم

البديل في إطار نماذج فنية تتوافر لها كل مقومـــــات النجـــاح الفني شكلاً ومضموناً–لكنها مع ذلك تخدم الأهداف الإســـلامية في الحياة،وهكذا في بقية مناحي الحياة.

وما يقال عن هذه الأمور،ليثبت تطور مـــهام الثقافـــة الإسلامية– يقال من جانب آخر،ويثبت - كذلك - تطورها.

فإن الثقافة الإسلامية،بينما تقوم بواجب بناء الإنســـان المسلم تقوم في الوقت نفسه بواجب الدفاع عن حصنـــه ضـــد التيارات المعادية..وبما أن هذه التيـــارات يمكـــن أن تتطـــور وتلبس أثواباً جديدة،أو تتلفع بشعارات براقة،أو تظهر لها ذيول أو واجهات جديدة– فإن على الثقافـــة الإســـلامية أن تطـــور وسائلها الدفاعية،وأن تستعد لكل خصم جديد يريد أن يزيـــف العقل المسلم،أو يتلبس بالوجدان الإسلامي،أو يشوه تكامليتـــه، ونقاء التصور الإسلامي المنسجم الشامل.

إن الشيوعيين في المشرق الإســـلامي– مثـــلاً– قـــد أغفلوا كلمة الشيوعية في حوارهم وهجومهم علـــى الإنســـان المسلم،وأحلوا كلمة "الاشـــتراكية" محلـــها..ثـــم لمـــا فشـــلت اشتراكيتهم،أطلقوا على أنفسهم شعار" اليسارية" ،ويزعمون أنه يعني الأسلوب الثوري المعارض..وليس له علاقـــة برفـــض الدين أو المادية الجدلية،بل هو أسبق زماناً من الشيوعية،فكـــل هذه الأساليب يجب أن ترصدها الثقافة الإسلامية،وأن تحصـــن الإنسان المسلم ضد ألوانها الماكرة.

إن تطور الثقافة الإسلامية حقيقة من حقـــائق بنائــــها الداخلي،وهذا هو الذي يعطيها بعدا تنفرد به عن بعض العلـــوم الإسلامية،كالتوحيد،والحديث،والتفسير،ولئن اشترك الفقه معـــها في نفس الخصيصة،فإن فرقاً أساسياً يبقى قائماً بينهـا،هـــو أن الفقه يواجه تطور الحركة الداخلية للحياة الإسلامية.

أما الثقافة الإسلامية،فمهمتها أن تقف كحارس يحمـــي الجبهة الخارجية،وترد الأعداء المتربصين،وتساعد" الفقه" فـــي الوقـــت نفســـه علـــى أداء رســـالته وتطويـــر المجتمعـــات الإسلامية،وتقدم لفروعه التصورات الكلية والأبنية التطبيقية.

إنها الزاد الضروري لكل مسلم معاصر يريد أن يعيش وفـــق الصياغة الإسلامية للحياة،ويملك الإرادة الإيمانية التي يواجـــه بها التصورات المعادية،مسلحاً بأصول الإسلام الثابتة،وثقافتـــه الإسلامية المتطورة.



الثقافة الإسلامية إنقاذ للإنسانية المعاصرة

من بين الثقافات المعاصرة،في عالمنا الذي تتلاطم فيه أمواج الثقافات من يسار إلى يمين- تقف الثقافة الإسلامية حاملة راية الإنقاذ للبشرية.

أجل..إن زماننا- كما يقول" رايت ملس" :لهو زمان القلق وعدم الاهتمام واللامبالاة بصورة لا تسمح للعقل أن يفعل مفعوله الهادئ ،ولا تسمح للحياة أو الشعور الرقيق النبيل أن يفعل مثله.

وقد اضطرب أمر الفكر الإنساني،لكثرة ما حشر فيه من زيف،وما زين فيه من باطل،وما انحرف فيه الإنسان عن الفطرة،حتى أصبح الوصول إلى الحق- والى الحلول الصحيحة المطابقة للسنن الكونية والاجتماعية - أمراً متعذراً غاية التعذر.

ولقد ساعد على ذلك تلك الوسائل الإعلامية الرهيبة القائمة على استغلال أحدث أساليب الدعاية،من تحليل،وتركيب،قائمين على"أن الغاية تبرر الوسيلة" !! وبالتالي،فلم يعد بالإمكان تخليص الأفكار الحديثة من الجراثيم التي دخلت إلى بنيتها الداخلية،وأصبحت كالسرطان لا تنفصل إلا ببتر العضو نفسه..

ويترجم المفكر البروفسور"بومان" عن هذا المرض الفكري الخطير الذي دخل إلى جسم الحضارة الحديثة،ولم يعد

بالإمكان إخراجه منها،فيقول لنا:((إنه مهما تختلف محـاولات الإصلاح بين كونها جسورة أو خجولة،بعيدة المرمى أو حـذرة فإنها- جميعاً - تتفق على أن الأفكار الموجهة للحضـارة أو الثقافة الجديدة "المنشودة "يجب أن لا يبحث عنها في الأشـكال العادية أو المألوفة،بل إن المطلوب عمله ضروري لهو شـئ أبعد مدى بكثير من مجرد إعـادة تشـكيل،أو إعـادة تنظيـم للآراء السائدة))..

والذي لم يستطع"بومان" الاهتداء إليه.. بحكم تكوينـه الغربي الذي لـم يتلـق إلا صـورة مشـوهة عـن الثقافـة الإسلامية،هو أن " الثقافة الإسلامية" - وحدها فـي الأرض- وهى ثقافة غير حاضرة الحضور الجديـر بـها فـي سـاحة الصراع الثقافي العالمي - هى الثقافـة البديلـة لـهذه الآراء السائدة ،ولهذه الأشكال الإعادية.

وما هو مختل فـي الغـرب بسـبب مـن سـيطرة "التكنولوجيا" على إنسانية الإنسان،أو بسـبب الانفصـام بيـن الروح والمادة،أو غياب الأهداف العليا الواضحة،أو الصـراع بين العقل والدين الكنسي.

هذه الاضطرابات -وغيرها- التي أودت بوضع الفكر الأوروبي الحديث تبرأ منها ثقافة واحدة،وفكر واحد،في هـذا العالم..إنها الثقافة الإسلامية..

إنها الثقافة الوحيدة التي تجيب على سؤالين يبدوان متعارضين للنظر العادي بينما هما..وجهان لعملة واحدة،ومع أن ثقافة العصر قد جعلت منهما قضيتين متصارعتين..وهذان السؤلان هما:

- **ما حدود أن يعيش الإنسان في دائرة نفسه؟**
- **وما حدود أن يعيش الإنسان للآخرين؟**

وبتعبير آخر: كيف تبقى الذات الإنسانية في مستوييها الفردي والاجتماعي،عاملة ومؤثرة بتوازن والتزام؟.

لقد كانت الثقافة في الماضي هى الشخصية الحضارية للأمة بمعنى الكلمة،فكان من الممكن التعبير عن الأمة بثقافتها،بل كان من الممكن تقسيم العالم إلى ثقافات..

لكن تقدم وسائل المواصلات ،وبخاصة وسائل مواصلات الفكر.. يضاف إلى ذلك تلك النزعة الغربية الرامية إلى فرض وحدة ثقافية غربية مادية على العالم المعاصر...هذان العاملان قد أحدثا التحاماً وتشابكاً بين ثقافات الأرض، بحيث اختلطت الأسلاك من هنا ومن هناك،وأصبح يمر من خلالها كلها،ففي الصين،أو في اليابان،أو في ألمانيا الغربية،أو الشرقية،أو الهند أو أقطار العالم الإسلامي- سلك واحد،يكاد يشعل الشحنات المنبثة في كل الأسلاك،هذا السلك الذي أحدث هذا الارتباك والتشابك بين الأسلاك،وأفقد أكثرها أجزاء كبيرة من مقومات ثقافته،هو سلك الثقافة الغربية.

ولما كان تيار الثقافة الغربية،والتيارات الدائـــرة فـــي جاذبيته،قد دخلها -جميعاً-من أمراض الحضارة،ما يســـتحيل معه إمكانية الإرسال والاستقبال الصحيحة.

فبالتالي،وجب توجيه خط كهربائي آخر منفصل..قـائم على دعائم أخرى،وبعيد كل البعـــد عـــن مجـــال الفوضـــى الفكرية المتشابكة.

ومن هنا تأتي ضرورة الثقافة الإســـلامية للإنســـان الحديث، والخطر الآخر الخطـــير الـــذي أحدثتـــه الســـيطرة الأوروبية الثقافية،في تصورها المادي،فضلاً عن أنها أفقـــدت الثقافة محتواها الشخصي للأمة أنها - أيضا- فرغت الثقافـــة من محتواها الديني،بل إن الذهنية المعاصرة أصبحـــت تفـــهم الثقافة على أنها شئ منفصل عن الدين.

وإنه لمن المحزن حقاً أن يقصد بالثقافة- في المستوى التطبيقي والتنظيمي الحديث-مراكز العناية بـــالفنون والآداب وحسب،وربما بنوع واحد من هذه الفنون والآداب،وأعني بـــه الفنون والآداب العامية أو " الفولكلورية".

أما ثقافة الأمة الرفيعة،فهي منزوية في المعـــاهد ذات الصيغة الأكاديمية.

ولهذا التدهور- في تصور وتوجيه مضمون الثقافـــة- فقدت الثقافة المعاصرة دورها،كمحيط يتحرك الإنســـان فـــي

داخله،وكبويضة ينمو جنين الحضارة في أحشائها وينمو معه جميع خصائصه الحضارية.

ومن هنا..فإن قيد"الإسلامية" في الثقافة،وارتباط " الثقافة" بالإسلامية يعيد إلى الوظيفة الثقافية دورها في التاريخ،وهو إذ يعيدها إلى دورها،يعيدها عامرة بكل مضمونها الإيجابي والتاريخي الفاعل..ويعيد في الوقت نفسه إلى عالم اليوم المستعمر بالغزو التغريبي المدمر الشامل- الأمل في إمكانية بروز ثقافاته المستقلة،والأمل في أن تظهر في العالم " ثقافات"حرة متعددة،غير مقهورة بالثقافة التغريبية التي تتكئ على استعمارين في آن واحد:

[1] استعمار عسكري وسياسي وأخلاقي مدمر للحضارة البشرية جمعاء.

[2] استعمار " تكنولوجي" مدمر لإنسانية الإنسان.

إن أخطر ما يواجه العالم المعاصر هو ما يسمى "بالواحدية الثقافية" أى أن يسير قطار الحضارة على هوى السائق المخمور الذي يسمى بالثقافة الغربية،ومعروف نتيجة قيادة سائق هذا شأنه !!

ومن هنا تأتي أهمية الثقافة الإسلامية لعالمنا المعاصر،إنها الثقافة التي تؤمن بضرورة الصراع والتنوع : ﴿ **وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ** ... ﴾ [هود:118،119].

﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:99].

ومن هنا ..فإن الإنسانية المعاصرة تستطيع أن تعيش في ظل هذه الثقافة ،وتعطى عطاء متنوعاً،وتجد دائماً الطريـــق إلـــى المثل الأعلى، الذي يشد كل الخيوط الثقافية إليه.

***

الإسلام والتيارات الاجتماعية الحديثة

1- مصطلح المسألة الاجتماعية

ليس من السهل الزعم بأن هناك تحديداً ثابتاً لمصطلح إنساني كمصطلح المسألة الاجتماعية، كما أنه ليس من السهل تحديد معلم زمني موثوق به لنشأة مصطلح من هذا النوع،حتى وإن كان هذا المصطلح قد تطور،وأصبح يرمز إلى قضية كبرى من قضايا الإنسان في العصر الحديث.

ومع أننا سنحاول الوصول إلى تحديد نسبي لهذا المصطلح،والى الوقوف عند معلم زمني لنشأته كتعبير عن قضية إنسانية إلا أننا نجد من الضروري التنبيه في بداية حديثنا-إلى أن هذه القضية-بمفهومها الإصطلاحي الحديث- لم تكن وليدة البيئة الإسلامية أو المناخ الذي سيطرت عليه روح الإسلام،وإنما كانت "مرضا" تطور إلى "أمة حضارية" أصابت جسم الحضارة الأوروبية الذي نشأ ونما وترعرع بعيداً عن قوانين الله وأوامره،بل بعيداً عن نسمات الروح والأواصر الإنسانية بوجه عام.

ونضيف إلى ذلك أن طبيعة الإسلام- كدين لا يفصل بين آثار العقيدة والشريعة،ولا بين خير الفرد وخير المجتمع،ولا بين القانون وروح القانون.. هذه الطبيعة الشاملة في هذا الدين تجعل من الصعب – في ظل تطبيق تعاليمه – نشوء ظواهر،كظواهر الصراع بين الفرد والمجتمع،أو

الصراع بين الطبقات ،أو غير ذلك من الظواهر التي أبـــرزت ما يعرف باسم" المسألة الاجتماعية"،والتي جعلت هذه القضيـــة تأخذ من جهود الإنسان الحديث القسط الكبير.

إن الإسلام- في حقيقته-"بناء تـــام الصنعـــة،وكـــل أجزائه-من عقائد وعبادات ومعاملات اجتماعية واقتصاديـــة- قد صيغت ليتمم بعضها بعضاً،فليس هنـــاك شـــئ لا حاجـــة إليه،وليس هناك نقـــص فـــي شـــئ،فنتـــج عـــن ذلـــك- أى عن هذه الطبيعة في الإسلام- إئتلاف متزن مرصـــوص [3] لا يجوز تقطيعه.

ونحن عندمـــا نضطـــر لعـــلاج قضيـــة كالمســـألة الاجتماعية لا يجوز لنا إغفال هذه الطبيعة في الإســـلام،فـــلا نبتعد بالمشكلة عن جذورها ولا نفصلها عن الجسم الإســـلامي المتزن المتكامل.

وفي إطار هذا التصور،وانطلاقاً منه نبدأ في دراســـة المسألة الاجتماعية.

2- المسألة الاجتماعية مفهومها..نشأتها.. تطورها

لا توجد في التصور الإسلامي حواجز حقيقيـــة بيـــن الفرد والمجتمع،فإن الفرد يحس بأنه مسؤول مسئولية مباشـــرة عـــن المجتمـــع،والمجتمـــع- أيضـــا- يحـــس بـــأن عمـــده الأساسية،وأركانه الطبيعية هم هؤلاء الأفراد المسلمون.

(3) محمد أسد: الإسلام على مفترق الطرق ،ص15.

لقد انتمى الفرد المسلم إلى هذا المجتمع بإرادته،ولقـــد انتسب إليه روحاً وفكراً ومشاعر قبل أن ينتمي إليه جســداً..أو عضواً عاملاً،والرابطة الأولى بالتالي في المجتمع الإســـلامي هي العقيدة المشتركة..وما ينبثق عن هذه العقيدة من تصورات ونظم وقوانين اجتماعية واقتصادية وسياسية.

وهذه الرابطـــة الأولـــى- التـــي ارتضاهـــا المســـلم طواعية- تذيب الفواصل بينه وبين المجتمع،وتشـــعره بـــولاء ومسئولية حقيقية تجاهه،وتجاه مـــا يتعـــرض لـــه المجتمـــع الإسلامي كله من مشكلات وتحديات.

والسبب الأكبر الذي نكب المجتمعات البشرية،وكشـــف مشكلاتها في الجوانب المختلفة هو أنها نشـــأت كمجتمعـــات " اصطناعية" أو تلقائية،وليست مجتمعات طبيعية قائمـــة علـــى الاختيار الفردي،والتوافق الفكري والعقدي.

ومن هنا تظهر في أحشـــائها بيـــن الحيـــن والحيـــن أمراض متنوعة،مـــرة اجتماعيـــة،ومـــرة اقتصاديـــة،ومـــرة سياسية،ومرة حضارية شاملة تهدد بناءهـــا كلـــه،وتعرضـــها للتحلل والضياع.

والمسألة الاجتماعية،لم يقصد بـــها-حيـــن ظـــهرت حديثاً [4] مجرد تعقيد نظري هـــادئ لأســـس صالحـــة لقيـــام

---

[4] نحن نتناول المسألة الاجتماعية في مرحلتها التي ظهرت فيها كثورة على الكنيسة والإقطاع بقيادة المفكرين الاجتماعيين،والفلاسفة الخيـــاليين والطبيعيـــين-أمـــا-

المجتمعات البشرية وتماسكها- في ظل تصور إنساني عـــام- إنما قصد بها- نتيجة لكونها محاولة للبحث عن علاج لأزمـــة حضارية كما قلنــــا:(تنظيــم العلاقـــة التـــي تربــط الفـــرد بالمجتمع،وتمنع طغيان أحدهما على الآخر،وتضع الأسس التي تضمن انسجام المجتمع أفراداً وطبقات،وتتيح للجميــــع قــدراً متكافئاً من الفرص والحقوق،وتلزم الجميع- أيضا- بقدر ملائم عادلٍ من الواجبات).

ولقد تطورت المسألة الاجتماعية- فـــي ظـــل غلبـــة النزعة المادية،وموت الروح الإنسانية،وذبول القيم الدينية فـــي أوربا،واستعباد الآلة الصماء للإنسان،وافتتان الإنســـان بــها- تطورت هذه المسألة فلم تعد مجرد قضية إنسانية جزئية،بـــل أصبحت مذهباً مستقلاً **يرفعه أصحابه إلى مستوى ما يعـــرف"** بالأيديولوجية" [5] **تلك التي تشكل – في نظر أصحابها نظـــرة** كونية عامة،وتفسر جميع الظواهر تفسيراً مادياً قـــاصراً...[6] دون أن تلتفت إلـــى الجوانـــب الكبـــيرة الأخـــرى الروحيـــة

- الفكر الاجتماعي كفكر إنساني فهو قديم يرجع إلى شعور الإنسان بأنه مـــدني بالطبع ،وبأنه كائن اجتماعي،وليس تتبع هذا الفكر من بحثنا.

(5) الأيديولوجية:تستعمل بمعنى العقيدة والفكرة،والعالم المأمول،أو التنظيم المعـــين للحياة،ومن الخطأ استعمالها بديلاً عن الإسلام،كما يفعل بعض المثقفين .

(6) ومن النظريات الاجتماعية والاقتصادية التي جعلت من نفسها عقيدة :المذاهـــب الاشتراكية والشيوعية

والشعورية والأخلاقية التي تشكل منها الحياة،والتي لا يسمى الإنسان إنساناً،ولا تسمى الحياة إنسانية -إلا بها.

ومنذ وجد الإنسان على الأرض والتفكير الاجتماعي يحتل جانباً كبيراً من اهتمامه،وبالتأكيد فإن هناك صلات وثيقة بين الجانب الاجتماعي والجوانب الإنسانية الأخرى،وعلى رأسها العقيدة الدينية.

ومعلوم أن النظم والعقائد التي سيطرت على بعض الحضارات كالفراعنة والإغريق (اليونان)والرومان،قد اتجهت إلى تقديس الملوك،والخضوع لاستبدادهم،والإيمان بالأساس الطبقي لتكوين المجتمع [7]وبالتالي ضاعت في هذه العقائد نظم حقوق الأفراد والمجتمعات،ووقفت في القمة طبقات الحكم والأشراف ورجال الكهانة،بينما ضاعت في السفح،بلا حقوق- الطبقات الأخرى التي تمثل جماهير الشعب.

فلما ظهرت النصرانية،لم تلبث بعد فترة قصيرة من ظهورها أن انحرفت بقيادة رجال الكنيسة،فحرفت ما جاء به المسيح- عليه السلام-وأصبحت وسيلة من وسائل كبت الإنسان،وإذلاله وحرمانه،وفرض الفقر والعبودية والجهل عليه.. ولم تعد أكثر من أداة هزيلة في يد الاقطاع ورجال

[7] انظر: د/ محمد البهي في " طبقية المجتمع الأوروبي" ص11.

الحكم،فلا يجد الإنسان في رحابها العـــدل ولا المســـاواة،ولا يطمع في الاستعانة بها للوصـــول إلـــى حقـــه فـــي الحريـــة والكرامة الإنسانية.

ولقد نجح " قسطنطين" أول حاكم رومـــــاني تظـــاهر باعتناق المسيحية –في تحويل المسيحية إلى دين وثني مجـــرد من رسالته الروحية الصافية،إذ كان يرمي– قبل كل شئ إلـــى ابتداع شعار ديني وثني تتميز به دولته الرومانية عـــن الأمـــة الفارسية التي يقف منها موقف المحارب،ويعمل على تحريـــك العواطف الشعبية ضدها.

ويصف القاضي /عبد الجبار الهمرانى هذا الوضـــــع الجديد للنصرانية على يد قسطنطين فيقـــول:" إن الـــروم مـــا تنصرت ولا أجابت المسيح ،بل إن النصارى ترومت،وارتدت عن دين المسيح،وعطلت أصوله وفروعه،وصارت إلى ديـــن أعدائه،وهو ما عليه هذه الطوائف الثلاث مــــن النصـــارى.. فعلوا ذلك طلباً للرئاسة وعاجل الدنيا "[8].

ولقد أدى هذا التحول الفكري في المسيحية إلى تســلط رجال الكنيسة التابعين فكرياً للتقاليد الرومانية الوثنيـــة–علـــى البؤساء والفقراء.

---

[8] نقلاً عن" المسألة الاجتماعية" للأستاذ عمر عودة الخطيب،ص70.

كما أدى هذا التحول كرد فعل إلى بــــروز نزعــات (التغيير الاجتماعي) في مطلع النهضة الأوروبيــة،وهــو أول بروز عملي"للمسألة الاجتماعية" بمعناهـــا الحديــث إلــى أن تطورت كمذهب في نهاية القرن الثامن عشــر مــع الثــورة الفرنسية.

ولقد قامت هذه النزعات على أساس إعلان الحــرب على المسيحية والاعتقاد بأن الدين عموماً،انطلاقاً من تجربــة المسيحية،يشجع على الظلم،ويتواطأ مع الأقوياء،ويعجز عــن تقديم الحلول الكافية"للمسألة الاجتماعية"وبالتالي كــان معظــم فلاسفة الاجتماع الأوربيين من المنكرين للأديان،أمثال" جــان جاك روسو" و"فولتــير" و" فرنســيس بيكــون" و" ديكــارت" و"أوجست كونت" و" سبنسر" و"دور كليــم" بالإضافــة إلــى زعماء المذاهب الفوضوية الاشتراكية من أمثـــال:" تومــاس مور" و" برودون" و"توماس كامبانلا" و" مورلي" وغيرهم..

وباضطراد التطور " التكنولوجي" والاعتمــاد علــى الآلة،كانت المشاكل تتفاقم بيــن أصحــاب رؤوس الأمــوال والعمال الذين أصبحوا- نتيجة تزايد الاعتماد علـــى الآلــة- عرضة للبؤس والتشرد.

وظل الأمر يستفحل بين الملاك والعمال،فــي غيبــة قانون إلهي عادل-حتى انتهى إلى " عنف دموي" بين الطبقـات المختلفة،فأخذت المسألة الاجتماعية شكلاً حاداً وخطيراً.

وقد استغل اليهود هذه الفرصـــة كعادتـــهم ،فركبـــوا الموجة المضطربة،ووجهوها لمصالحــهم،وكرســوا جــهدهم لتقنين هذا الاضطراب وإشاعته في العـــالم،فـــاخترعوا لذلــك ألواناً من المذاهب المادية.. من شيوعية ماركسية،الى شيوعية لينينية،إلى اشتراكيات متعددة إلى وجودية.. وكلها مذاهـــب- وإن اختلفت شكلاً- تلتقي مضموناً عند نقطة رفــض النظــرة الدينية العالية الشاملة،وإقامة الحيـــاة علـــى أســـاس الإلحـــاد والصراع والتناقض.

3- طبيعة المنهج الإلهي في علاج المسألة الاجتماعية

عند دراستنا لطبيعة المنهج الإلهي في علاج المســـالة الاجتماعية يجب أن نستحضر في أذهاننا ما ذكرناه آنفاً من أن المنهج الإلهي كل لا يتجزأ،وأن علاج أى عضو في الجســم لا يعني أن بقية الأعضاء بمنأى عن التأثر بقضية هــذا العضــو والتأثير فيها.

وفي ظل الوعي بهذه الحقيقة نستطيع أن نســـتنتج أن طبيعة المنهج الإلهي في علاج المسألة الاجتماعية ترتكز على الحقائق التالية:

أولاً: إن الخصائص التي تتميز بها الشريعة الإســـلامية،بـــل التصور الإسلامي كله،تصدق على نظرة الإســـلام" للمســـألة الاجتماعية".

فإن كان الإسلام دين سهولة وتدرج ووسطية وتوازن بين أنشطة الحياة المتعددة وجوانبها،فإن هذه السمات تتجلى أيضا في تناول الإسلام" للمسألة الاجتماعية" .

وإذا كان الإسلام ديناً ربانياً صادراً عن قوة منزهة عن كل شرك،وليس نظرية إنسانية جزئية أو ترقيعية أو ترفيهية،فإن هذه الخصيصة الدينية ستتجلى-أيضا- في علاج الإسلام للمسألة الاجتماعية حين لا يقتصر العلاج الإسلامي على القوانين الجافة،أو السلوك الظاهري ،وإنما يتعدى ذلك إلى تحريك عواطف الرحمة والحب والأخوة الإنسانية،وخشية الله ورضاه،وصولاً إلى تحقق مجتمع العدالة الاجتماعية الواقعية،وليست العدالة النظرية المزيفة.

وإذا كان الإسلام يجمع بين الثبات والتطور ويرسم لكل منهما إطاره،ويجمع بين المثالية التي ينبغي أن ترنو إليها البشرية دائماً،والواقعية التي يسير عليها الناس غالباً،ويجمع- أيضا- بين الدنيا- أى الوجود المحدود- والآخرة أى الوجود الممتد،ويخاطب الإنسان"بالعبادات" من داخله،وينظم وجوده " المعاملات" من خارجه..

إذا كان الإسلام في أسلوبه وتشريعاته كلها يجمع هذه الخصائص التي يعجز أى مذهب بشري عن إحداث التوفيق والانسجام والتعاون بينهما،فإن هذه الخصائص تتجلى- أيضا- وبالضرورة في علاجه للمسألة الاجتماعية.

ثانياً:إن الإسلام لا ينظر إلى " المسألة الاجتماعيـــة" كقضيـــة ذات طابع مادي فقط،فالإنسان في نظر الإسلام لا ينحصر فـــي دائرة الوجود المادي أو الاقتصادي- كمـــا يقـــول المـــاديون الجدليون- وإنما هو كائن إنساني روحي إلى جانب ما فيه من جوانب مادية.

فالحرية الإنسانية،مثلاً في نظر الإسلام لا تقل أهمية عن الجانب الاقتصادي.

وقتل حرية الإنسان في مقابل توفير الخبز والملبس له انتكاسة حيوانية وردة إنسانية،وهبوط بالمستوى الذي وضـــع الله الإنسان فيه(وهو ما فعله الشيوعيون والماديون بعامة).

وعلى أساس تحقيق الكفاية لكل جوانب الإنسان مـــن مادية وعضوية ترتكـــز المبـــادئ الإســـلامية فـــي علاجـــها " للمسألة الاجتماعية".

ثالثاً: والإسلام كدين إلهي،لا يعترف بالنزعـــات العنصريـــة أو القومية أو الطبقية أو ما سوى ذلك من نزعـــات الصـــراع والتنـــاقض،بـــل يقيـــم تشـــريعاته علـــى أســـاس الركنيـــن الفطريين التاليين:

أ- وحدة الأصل:

فالبشر جميعاً ينتسبون إلى أب واحد،وأم واحـــدة،وإن اختلفوا جنساً ولوناً ووطناً، ولا ينبغي أن يكون اختلافهم هـــذا حائلاً دون أخذهم لحقوقهم الإنسانية المشروعة [9].

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـــاكُم مِّـــن ذَكَـــرٍ وَأُنثَـــى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات:13].

ب- وحدة العقيدة:

وهى التوحيد الخالص الذي جاء به النبيون جميعـــاً: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ ﴾[آل عمـــران: 19]، ..﴿ وَمَـــن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: 85]،فـــهذا هو أساس العقيدة الذي لا يتبدل ،أما التشريع الذي ينظم حيـــاة الجماعة فهو الذي يتطور في الرسالات الإلهية..حتى إذا جـــاء الإسلام في صورته النهائية كان قد احتضن الفكرة الأساســـية في دين الله الواحد،واستقى الصالح من المبادئ والتشـــريعات والنظم في الرسالات السابقة،وأكمل الناقص منها وأتمه [10].

---

[9] انظر عمر عودة الخطيب" لمحات في الثقافة الإسلامية"بتصرف،ص236،وانظر "العدالة الاجتماعية في الإسلام" للأستاذ قطب،ص 98،ط7

[10] عمرو عودة الخطيب :" لمحات في الثقافة الإسلامية"،ص238 بتصرف.

4- من خصائص المنهج الإلهي في علاج "المسألة الاجتماعية"

تنبثق خصائص المنهج الإلهي في علاج" المسألة الاجتماعية" من طبيعة المنهج الإسلامي كدين رباني عام خالد.

وكما تحمل فروع الشجرة خصائصها-كذلك- يحمل أسلوب الإسلام في علاج أية قضية من قضايا الحياة كل خصائص شجرته ذات الأصول السماوية الثابتة:

وبإيجاز،وفي ضوء هذا التصور الموضوعي لطبيعة الإسلام،نستطيع إبراز أهم خصائص المنهج الإلهي لعلاج "المسألة الاجتماعية" في النقاط التالية:

أ- الأساس الديني للمجتمع:

لا يقيم الإسلام البناء الاجتماعي على أساس مادي أو قانوني، وإنما يرسي دعائم الأساس الديني للحياة الاجتماعية وغيرها كأساس ثابت تنطلق منه كل جزئيات العلاقات الاجتماعية والاقتصادية.

والأساس الديني للمجتمع يستمد أصالته وروعته من عدة أمور:

[1] أنه علاج إلهي صدر عن الخالق القادر المحيط المهيمن العليم بمخلوقاته ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الملك:14] .

[2] أنه ملائم لفطرة الإنسان،فالإنسان ليس آلة صماء تتحـــرك بمجرد الضغط عليها بمفتاح اسمه القانون،وإنما هو إنســـان ذو إرادة حرة لابد أن تنطلق من داخلها نواحي السلوك المختلفة.
[3] هذا بالإضافة إلى أن كـــل الحلـــول" اللادينيـــة" الماديـــة والقانونية التي انتهجتها البشرية قد أفلست،وآل أمرهـــا إلـــى فشل ذريع.ويؤكد هذا ذلك التصاعد المستمر فـــي إحصـــاءات الانتحار والجنون،وحوادث الاغتصاب والسرقة،وغيرها[11].

إن الإنسان في الإسلام خليفة الله فـــي الأرض.وهـــو مكلف بتعمير هذا الكون الذي سخره الله له،وباسمه- ســـبحانه وتعالى،يجب أن يمشى الإنسان في الأرض،وأن يـــأكل مـــن رزق الله !!

والإسلام وحده من بين سائر الأديان والمذاهب هـــو الذي يفرد الله بالعبادة حين يفرده بالحاكمية وحق وضع المنهج لحياة الناس،ومن ثم فهو وحده الذي يطلق الناس من العبوديـــة

---

(11)تقول إحصائية نشرت بموسكو إن 50%من الأمراض سببها نفساني،وفي تقارير عام 1393هـــ أن خمسة ملايين جريمة تقع في السنة الواحدة على الرغم من الرفاهية المتوفرة،وقد ارتفعت نسبة الجريمة في فرنسا 32%في عام واحد:= =راجع تفصيل ذلك في مقال" الدين والتطور ا لحضاري" مجلة التضامن الإسلامي عدد ذى الحجة 1395هـــ – لعبد الحليم عويس".

لغير الله.. ولهذا فنحن ملزمون بتحقيق هذا المنهج دون سواه [12].

وهذا المنهج الإسلامي هو الوحيد المبرأ – نتيجة الأساس الألهي– من نتائج الهوى الإنساني،والضعف الإنساني،والرغبة الإنسانية في النفع الذاتي،وفي تحقيق ذلك النفع عن طريق التشريع لشخص المشروع،أو لأسرته،أو لطبقته أو لشعبه أو لجنسه..فواضع هذا المنهج هو الله رب البشر أجمعين[13].

فالأساس الديني للحياة،كما نرى،هو الضمان الوحيد لتحقيق مجتمع تتوافر فيه للإنسان الكرامة والعدالة والحرية والمساواة.

ب– الصياغة الإنسانية للمجتمع

ومن أبرز خصائص المنهج الإلهي في علاج "المسائل الاجتماعية"،أنه لا يقيم البناء الاجتماعي على أساس "الصراع" أو التناقض أو طبقة أو أفراد لطبقات من الناس ..

إنه قبل أن يضع القوانين ،وبعد أن يرسي أساس الربوبية يقيم دعامات أخرى إنسانية تشيع بين الناس أواصر الرحمة،والحب،والتسامح،والفضل،والتعاون،ومراقبة الضمير،وخشية الله،إلى غير ذلك من المعاني الكريمة.

---

(12) الأستاذ: سيد قطب" هذا الدين"،ص 18.

(13) المرجع السابق:ص 16.

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تؤكد هذه المعاني أكثر من أن تحصر..

وأبرز معالم الصياغة الإنسانية للمجتمع في المنهج الإلهي تتلخص في:

1- إيمان الإسلام بنظافة الفطرة الإنسانية،وبأنها لم تولد آثمة أو خاطئة،كما يقول النصارى،وإنما ولدت كريمة طيبة تنزع إلى المثالية.وما يلحقها من عيوب إنما هو حصاد تأثرها بأوضاع غير كريمة في المجتمع.والإسلام يعتمد في تشريعاته على هذا الرصيد الكريم للفطرة،ويحاول تحريك الإنسان بالإرادة الذاتية من داخله،قبل أن يقوده بسلاسل القانون من خارجه.. قال تعالى:﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾ [الرعد: 11] .،﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ [العنكبوت :69].

2- إشباع الإسلام لكل جوانب الإنسان-بالطرق الحلال،وتصعيد كل غرائزه وليس كبتها أو حرمانها بالرهبانية المبتدعة،أو الزهد الكاذب..

((فالإسلام ليس عقيدة صوفية ولا هو فلسفة،ولكنه منهج من الحياة حسب قوانين الطبيعة التي سنها الله لخلقه،وما

عمله الأسمى سوى التوفيق التام بين الوجهتين الروحية والمادية في الحياة الإنسانية))[14] .

3- إعطاء الإسلام كل ذي حق حقه،في توازن،وبلا إفراط أو تفريط فللرجل حقه كإنسان،وللمرأة حقها،وللابن حقه،وللأب حقه،وللضعيف حقه،وللمريض حقه،وللعاجز حقه،وللفقراء والمساكين واليتامى والمعوقين وأشباههم من المعوزين حقوق..قال تعالى:﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ● فَكُّ رَقَبَةٍ● أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ● يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ● أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ● ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ** ﴾ [البلد:12-17].

ج- الحق والعدل من الخصائص الكبرى

لا يدعو الإسلام إلى سيطرة طبقة على طبقة،ولا إلى " دكتاتورية" فردية،أو طبقية تنشر باستبدادها الظلم في المجتمع،وحتى المجتمع الإسلامي كله ليس مباحاً له أن يستحل ثروات شعوب أخرى أو يستبد بها..فالظلم ظلم،والتسلط الظالم مرفوض في منطق العدالة الاجتماعية الإسلامية،بل إن العكس هو المفروض على الأمة الإسلامية..فهذه الأمة الوسط الشهيدة على الناس مكلفة بإقرار العدل والحق في الأرض كلها،وما الهدف الأسمى من الجهاد إلا إقرار العدل والحق وإعلان الحرب الدائمة على الطغاة والمتألهين ،الذين يذلون الشعوب

---

(14) محمد أسد الإسلام على مفترق الطرق،ص22.

ويقيمون السدود في وجه الحق والإيمان. والقرآن يقول :﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾ [البقرة: 251]،ويقول:﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:143]، ويقول:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:104] .

والعدل في منطق الإسلام عدل مطلق[15] ..ينساب في كل أركان المجتمع والكيان الإنساني.. في داخل النفس،وفي الأسرة،وبين أفراد المجتمع،وبين الرجل والمرأة،والأب والابن.. ومع الصديق والعدو..وبين المجتمع الإسلامي وغيره من المجتمعات ..وهو عدل في الحكم،وفي الاقتصاد،وفي النظم الاجتماعية،وفي الحروب،وفي سائر العلاقات الاجتماعية وشئون الحياة.

د- الأصالة والشمول:

من الخصائص الأساسية في المنهج الإسلامي لعلاج"المسألة الاجتماعية" أنه منهج أصيل شامل..

فهو أصيل؛لأنه لم يكن مجرد علاج أو رد فعل لخلل طارئ،وإنما هو توجيه شمولي لعلاج الكيان الاجتماعي كله.

---

[15] انظر فصل العدالة من كتاب "معالم الثقافة الإسلامية" للدكتور/ عبد الكريم عثمان.

وهو أصيل،لأنه لم يكن مجرد ترقيع جزئي انفعالي(كالمذاهب الشيوعية والاشتراكية) أو تلفيق مذهبي مستور(كدعاوي الجمع بين الاشتراكية والديمقراطية)، أو نظرة سطحية لكيان الإنسان ولحركة التاريخ البشري وقوانين مسيرته.

وهو أصيل؛لأنه يقدم حلولاً مستقلة لمشكلات الإنسانية، يستمدها من تصوره الخاص،ومن منهجه الذاتي،ومن أسسه الأصيلة،ومن وسائله المتميزة.

وعلينا حين نناقش هذا الدين ألا نكله إلى مذاهب ونظريات أخرى تفسره (كالاشتراكيات المختلفة) أو تضيف إليه،فهو منهج متكامل،ووحدة متجانسة،وإدخال أى عنصر غريب فيه كفيل بأن يفسده،كالجهاز الدقيق الكامل،أية قطعة غريبة عنه تعطل الجهاز كله،وتظهر كأنها رقعة فيه [16].

وهو أصيل؛لأنه يرتكز على دعائم أصيلة في أعماق الإنسان، ويهدف إلى غايات إنسانية نبيلة،لا تخدم مصلحة طبقة أو فرد،إنما تخدم المجتمع كله.. والإنسانية كلها..

ومن أكبر دلائل أصالة المنهج الإسلامي في علاج" المسألة الاجتماعية" أنه منهج "شامل"؛لأن كل جزئياته تنطلق من منبع واحد،وهو الوحي الكريم،وتتجه كلها إلى غاية واحدة

---

(16) سيد قطب "العدالة الاجتماعية "،ص 97.

هى العبادة..أى رضا الله"فليـــس فـــي التصـــور الإســـلامي نشاط إنساني

لا ينطبق عليه معنى العبادة،أو لا يطلب فيـــه تحقيـــق هذا الوصف "[17] .

ولأنه منهج مســـتوف لكـــل نواحـــي العـــلاج،ولأن وسائله-كذلك- فطرية،فهو لا يهدم الفطرة أو يصطدم معـــــها من أجل غاية يزعم أنـــها شـــريفة.. ولا يضحـــى بملاييـــن الناس،زاعما أنه يريد إقرار العدالة الاجتماعية على اشـلائهم.. ولا يهدر حقوق الآدميين تحت شعار كاذب يرفعه..

كلا ..فالعدالة شاملة..ولكل جزء حقه.. عليه واجب ملائم له.

إن الإسلام يرسم ســـلوكاً اجتماعيـــاً شـــاملاً نحـــو الآخرين في المجتمع،على اختلاف مستويات الصلة بهم[18].

- ففـــي جـــانب الوالديـــــن ﴿ **وَبِالْوَالِدَيْـــنِ إِحْسَـــانًا**﴾ [الإسراء:23]،﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الـــذُّلِّ مِـــنَ الرَّحْمَـــةِ**﴾ [الإسراء:24] .
- وفـــي جـــانب ذي القربـــى:﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَـــى حَقَّـــهُ**﴾ [الإسراء:26].
- وفي جانب الضعفاء:﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ**

---

[17] سيد قطب "خصائص التصور الإسلامي"،ص129.

[18] د/ محمد البهي طبقية المجتمع الأوروبي،ص47.

وَابْنَ السَّبِيلِ﴾، ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء:34] .

○ وفي جانب الأبناء:﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم...﴾ [الإسراء:31] .

○ وفي جانب الجار:((ليس منا من بات شبعان وجاره جائع)) حديث شريف.

○ وفي جانب الزوجة: ((خيركم خيركم لأهله،وأنا خيركم لأهلي)) حديث شريف.

○ وفي جانب العرض والمال وخصوصيات الإنسان الأخرى، هناك- أيضا- تشريعات اجتماعية تحميها،وتضعها في مكانها السليم من البناء الاجتماعي.

○ وفي جانب المجتمع الإسلامي:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:10].

○ وفي جانب المختلفين في العقيدة : ((ألا من ظلم معاهداً أو تنقصه حقه،أو كلفه فوق طاقته،أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا خصمه يوم القيامة)) حديث شريف.

○ ومع النفس والضمير والإنسانية والكون كله... رسم الإسلام سلوكاً أخلاقياً اجتماعياً حفلت به الآيات والأحاديث الشريفة.

وهكذا،ومن هذه النماذج الموجزة- تتضح أصالة المنهج الإسلامي في علاج "المسألة الاجتماعية"كما يتضح

كذلك،شموله لكل جوانب "المســـألة الاجتماعيـــة" بـــلا خلـــل أو انحراف.

هـ - التوازن والواقعية

إن الإسلام وحده- في علاجه" للمسألة الاجتماعيـــــة" هو الدين المتسم بالتوازن والواقعية بوضوح تام.

وكما هو معروف فـــإن الأســـباب المباشـــرة لقيـــام المذاهب"والأيديولوجيات" التي انتشرت في عالم اليـــوم،إنمـــا تتلخص في بحث كل منهما (كمـــا يزعـــم أصحابـــها) عـــن إنصاف جانب مختل من جوانب المجتمع عن طريق تصويـــر معين(غير واقعي في الحقيقة) للحياة.

فالماركسية تزعم أنها تنصف معظم المجتمع أو مـــا يسمى"بالبروليتاريا" أى :الطبقات العاملة الكادحة..تنصفه مـــن أفراد يمثلون قلة،تدعـــى" بـــالبورجوازيين" أو " الإقطـــاعيين" وتسير خلفها- في هذه الدعوى المذاهب الاشتراكية المختلفة. وفي المقابل تـــأتي الوجوديـــة،والمذهـــب الحـــر"الليبراليـــة" والديموقراطيات بأشكالها الرأسمالية المختلفة،فتزعم أنها تنقـــذ الفرد مـــن ســـحق المجمـــوع،وســـيطرة الدولـــة،واســـتبداد قوانينها الظالمة.

وكما تنســـحب هـــذه الدعـــوات علـــى الجوانـــب الاقتصادية،كذلك تنسحب على الحرية الاجتماعيـــة،فبعضـــها يجعل الحرية ملكاً للمجتمع..وعلى الفرد أن يذوب في المجتمع

الموهوم،وبعضها يجعل الحرية- كل الحرية- بلا حدود من قوانين وأخلاقيات للفرد،بين هذين الاتجاهين غير الواقعيين الممتدين في كل آفاق الحياة،تتحرك عوامل الصراع،وتتناقض القوى التي خلقها الله لتكون متكاملة متعاونة... وتتحول الحيلة الاجتماعية،التي يمكن أن تكون طيبة كريمة إلى ساحة دموية رهيبة.

أما الإسلام...فقد رفض مبدأ الصراع ومبدأ التناقض من الأساس ... وقد أقام نظريته الاجتماعية على أساس "التعاون"،والبناء للفرد والمجتمع معاً في" توازن وواقعية".

وعبر كل المجالات التي تنظم قضايا الفرد والمجتمع في الإسلام،ليسود التوازن والواقعية فلا ينفصل الفرد نفسياً وسلوكياً عن المجتمع،ولا يسرق المجتمع حقوق الفرد تحت شعار من الشعارات الحالمة الكاذبة.

والى جانب ذلك فإنه في المجتمعات التي تطغى فيها حقوق الفرد تنسحق أمامها بالضرورة حقوق أفراد كثيرين آخرين يمثلون معظم المجتمع.. وفي المجتمعات التي تنسحق فيها حقوق الفرد تصبح القاعدة هى هذا الانسحاق للفردية البشرية.. أى أن التيارين بإيجاز ينتهيان إلى مصير واحد هو سيطرة قلة(باسم الفردية أو الجماعية) تستبد بالكثرة التي تعيش في كلا المجتمعين – في ظل هذا التصور،"فكل منهما-

الفرد في النظام الشيوعي الجماعي أو الرأسمالي الفردي- ليست له إرادة يرتفع بها فوق مجال الضغط والإكراه".

"كل منهما يكاد يفقد إنسانيته؛لأنه يفقد حريته الفردية بسبب أو بآخر..كل منهما تابع وخاضع"[19] .

والتفسير الوحيد لهذه النتيجة التي تنتهي إليها المجتمعات الشيوعية أو الرأسمالية هو انعدام التوازن والواقعية في النظرة،وإقامة صرح الحياة الاجتماعية على أساس الصراع،وتجاهل قيم الإيمان التي يشيعها الإسلام في المجتمع،سواء كان المجتمع أفراداً متناثرين- لم يتكونوا بعد في مجتمع رسمي كشأن المسلمين في مكة قبل الهجرة،أو كانوا مجتمعاً قانونياً كشأن المسلمين في المدينة بعد الهجرة، فالتوازن والتعاون والحب قيم موجودة سائدة في كلتا الصورتين اللتين مر بهما المجتمع الإسلامي﴿ **وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾** [آل عمران:103] ، **﴿هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾** [الأنفال:62،63].

---

[19] د/ محمد البهي:"طبقية المجتمع الأوروبي"،ص 66.

جدير بالتنويه إلــى جانب مــا ذكرنـــا أن النظــرة الإسلامية لم تجمع بين الفردية والجماعيـــة فـــي تــوازن وحسب،بــل منح الإسلام للفرد حقوقه وفــرض عليــه فــي مقابلها واجبات متوازنة مخصوصة للجماعة.

وبهذه الصورة ظهر بين الفردية والاجتماعيـــة فــي الإسلام توافق غريب حيث يتيسر للفرد نماء قوتـــه،وارتقــاء شخصيته.ثم يصبح عوناً بقوته الراقية فيما فيه خير وســـعادة للمجتمع[20] .

وبإيجــاز شــديد إن النظــرة الإســلامية "للمســألة الاجتماعية" ليست صورة مجنحة في خيال شاعر،ولا لوحـــة صماء بريشة فنان،ولكنها واقع حى متحــرك شــامخ أنشــأته الدعوة الإســـلامية،وقــام بــأمر الله الــذي لا يؤلــف بيــن القلوب سواه [21].

إنها نظرة تتجه إلى الإنسان بكل طاقاته،وفـــي كــل حالاته..في قوته وضعفه،وفي نوازعه وأشواقه،بلحمه ودمـــه وأعصابه،بجسمه وعقله وروحه.

إن الإنسان الذي تتجه إليه النظرة الإسلامية، ليس هو الإنسان الذي يصوغه ذهن تجريدي،ويؤلفه من عـــدة قضايـــا ذهنية،أو الإنسان الذي يضعه المنطق الوضعـــي فـــي أســـفل

---

[20] أبو الأعلى المودودى-" نظرية الإسلام وهديه"،ص 56.

[21] عمر عودة الخطيب- "المسألة الاجتماعية"ص 210.

سافلين،ويجعله مخلوقاً من مخلوقات"المادة الصماء،أو مخلوقات الاقتصاد"[22].

ومع رفعة النظرة الإسلامية للإنسان،ونظافتها وربانيتها وشمولها ومثاليتها،هي في الوقت نفسه نظرة للإنسان في حدود طاقاته الواقعية،وهي نظام لحياة هذا الكائن البشري الذي يعيش على هذه الأرض،ويأكل الطعام ويمشي في الأسواق،ويتزوج ويتناسل،ويحب ويكره،ويرجو ويخاف، ويزاول كل خصائص الإنسان الواقعي كما خلقه الله [23].

إن نظرة الإسلام "للمسألة الاجتماعية" ..هي نظرة دين سماوي صادر عن الإله القادر المحيط الحكيم،وليست نظرة عاجزة صادرة عن كائن بشري يتعرض للمرض والضعف والسقوط.

5- المناهج البشرية لعلاج المسألة الاجتماعية

تعددت المناهج البشرية لعلاج" المسألة الاجتماعية" وتباينت فيما بينها،بين التعصب للفرد كالنظرية الرأسمالية،والتعصب للمجتمع كالشيوعية والاشتراكيات المختلفة،والتلفيق بين شئ من هذه النظريات وتلك كالاشتراكيات الديمقراطية.

---

[22] الأستاذ/ سيد قطب-" خصائص التصور الإسلامي"،ص 206.

[23] الأستاذ/ سيد قطب-" خصائص التصور الإسلامي"،ص 206،بتصرف.

والحق أن هذه النظريات كلها- نتيجة عــــدم وعيـــها بطبيعة الإنسان-قد وقعت في أخطاء أساسية عامة على الرغم من تباين النظرة فيما بينها.

والجدير بالتنوية أن هذه العيوب العامــــة المشــتركة تمثل خللاً أساسياً ممتداً في البناء المذهبي لهذه النظريــــات لا يمكن تقويمه،كما تمثـــل بعــداً مـــن أبعـــاد تفــوق المنـــهج الرباني.وتعتبر في الوقت نفسه- أبرز الفروق بيـــن المنـــهج الإلهي والمناهج البشرية في علاج المسألة الاجتماعية.

مآخذ أساسية على المناهج البشرية في علاج" المسألة الاجتماعية :

أولاً: اعتمادها على الأساس المادي:

فإن المذاهب البشرية لا تختلف من ناحيـــة الأســـاس الاعتقادي،فكلها من أقصى اليمين الرأسمالي،إلى أقصى اليسار الشيوعي- تنطلق من تصور مادي للحياة.

إنها لا تؤمن بالخالق المبـــدع المـــهيمن علـــى هـــذا الكون،ولا تؤمن بالغيبيـــات مـــن ملائكـــة ،وكتـــب منزلـــة، ورسل،وبعث،وحساب، وعقاب ،وقضاء ،وقدر، وغاية عليـــا مقصودة من رحلة الحياة.

إنها لا تؤمن بهذا كله،وتجعل ذلـــك كلـــه فكــراً" لا علمياً" و" لا عقلياً"يقول " برتراندرسل" الفيلسوف الإنجلـــيزي الذي يعتـــبره الأوربيـــون أوســـع مفكـــرى العصـــر علمـــاً

ودراسة في كتابه" لماذا لست مسيحياً؟" ..يقول ما ترجمته:
"إنني أعتقد أن كل الأديان العالمية الكبرى، كالبوذية،والهندوكية،والمسيحية،والإسلام باطلة وضارة "[24].

وقد أعلن " تيندال" - أحد علماء القرن التاسع:(أن العلم يكفي الآن وحده لمعالجة شئون الإنسان) [25] ويعني أنه لم يعد هناك حاجة للتصور الديني،وما يتبعه من أخلاقيات وتشريعات.

ومثل أقوال" رسل" و" تيندال" الممثلين للجناح الرأسمالي في الحضارة الأوروبية أقوال " ماركس"و " لينين" الممثلين للجناح الشيوعي الاشتراكي في هذه الحضارة.

يقول ماركس في البيان الشيوعي(المانفستو) الذي صدر سنة 1848م ما نصه:" لا إله،والحياة مادة " ويقول "لينين": سنة 1913م:" ليس صحيحاً أن الله هو الذي ينظم الأكوان،إنما الصحيح أن الله فكرة خرافية اختلقها الإنسان ليبرر عجزه".

---

(24) انظر في مناقشة هذا المفكر الملحد كتاب" الدين في مواجهة العلم"،فصل أفكار"برتراندرسل" والكتاب من تأليف"وحيد الدين خان" مراجعة وتعليق "عبد الحليم عويس".

(25) المرجع السابق:ص 40.

وهكذا..وعلى الرغم من تمويه هؤلاء وأولئك بترك بعض دور العبادة تعيش مفرغة من رسالتها وكأنها متاحف تاريخية يتضح الأساس المادي للحياة في ظل التصور الأوروبي،رأسمالياً وشيوعياً.

ومن هذا التصور الفكري المادي تنعكس سلوكيات اجتماعية، واقتصادية،وسياسية،وتتحرك كلها ،في دائرة الصراع المادي الدنيوي،الذي لا يرفع بصره إلى أعلى،والذي أخذه الغرور والأنانية والظلم كل مأخذ.. فيجلس على كرسي العلم الظني،رافضاً الاعتراف بحق الله في الهيمنة والتصرف والحكم،أو كما يقول الأستاذ" كريس موريسون" رئيس أكاديمية نيويورك سابقاً- مصوراً حالة هؤلاء الماديين ونتائج انحرافهم:(إن الإلحاد نوع من الأنانية..).

"لسوف تقضى هذه الحضارة بدون العقيدة والدين.." .

"سوف يتحول النظام إلى فوضى..سوف ينعدم التوازن وضبط النفس والتماسك.." [26].

ثانياً : انطلاقها من نظرة هابطة للإنسان :

فبينما يرفض الإسلام أن ينظر إلى الإنسان على أنه حيوان،سواء كان ناطقاً أو ضاحكاً- كما يقولون،وبينما يكرم الإسلام الإنسان.ويضعه في منزلة مستقلة..في أحسن

---

[26] بتصرف من كتاب"حركات ومذاهب في ميزان الإسلام"،ص5.

تقويم،ويفضله على كثير ممن خلق الله،ويجعله خليفة الله في الأرض..

تذهب المذاهب البشرية إلى عكس ذلك تماماً،فهى لا ترى الإنسان إلا " حيواناً بيولوجياً" أو " كائناً اقتصادياً" تحركه المادة،وتخضعه في كل انطلاقاته الفكرية والاجتماعية لقوانينها وضغوطها.

ومن هناك - وعلى اختلاف في مستوى التصور- تتفق الرأسمالية والاشتراكية في أنهما يعالجان"المسألة الاجتماعية" بالمنظار المادي الغرائزي،وهما يعتقدان أن حل مشكلات الإنسان الاقتصادية تعني إشباع كل كيانه الإنساني،متجاهلين الطاقات الإنسانية الأخرى العقلية والروحية والوجدانية.

يقول الأستاذ" فتحي يكن" مصوراً هذه الخصيصة في المذاهب المادية:" إننا لا نكون مبالغين إذا قلنا:إن المقاييس التي اعتمدتها المذاهب الحديثة من رأسمالية وشيوعية واشتراكية في تقويم الواقع البشري الإنساني ليست بشرية وليست إنسانية.

وأمثالها قد يصلح،ولكن لمجتمعات بهيمية ليست في حاجة أساساً لغير المتطلبات المادية الصرفة،وإما أن تكون مرشحة لتنظيم حياة الإنسان ذات المطالب والخصائص

الفطرية المتعددة،فهذا مالا تستطيعه بحالٍ،لأنها تفقد عناصره الأساسية.. "[27].

ونحن نجد أنه بينما يقوم النظام الرأسمالي على دعامتين ماديتين يتلخصان في:-

[1] العداء لكل ما هو ديني،نتيجة بناء الحضارة الرأسمالية على أنقاض الكنيسة.

[2] البحث عن الثروة الشخصية والملكية الذاتية الرهيبة المتجبرة التي تستحق كل القيم والإنسانيات،بل وشعوباً بأكملها وصولاً للسيطرة على رأس المال.

بينما يقوم النظام الرأسمالي على هذين الأساسين غير الإنسانيين [28]يقوم النظام الشيوعي على الأساسيين التاليين:

[أ] تفسير الحياة اقتصادياً وضرورة سيطرة الطبقة العاملة(البروليتاريا) على سائر الطبقات،وسحق الطبقات الأخرى بالعنف الدموي عن طريق الانقلابات غير المشروعة.

[ب] الإيمان بصراع الطبقات كمحرك للحياة الاجتماعية،وتفريغ الحياة من معاني الحب والكرم والتعاون

---

(27) بتصرف من كتاب" حركات ومذاهب في ميزان الإسلام"،ص5.

(28)راجع: الرأسمالية والإنسان العربي.مقال بمجلة المجتمع- عبد الحليم عويس،أغسطس،73م.

والمعاني الأخلاقية الأخرى.

أى أن المذهبين المنتشرين في عالم اليوم يفتقدان معاً النظرة الإنسانية للحياة وللبشرية،وهما معاً يدوران في فلك حيوانية الإنسان،وليس في فلك الإنسانية الكاملة العالية التي يركز عليها الإسلام.

ثالثاً: القصور والانحراف والظلم:

فهذه-أيضا- من الخصائص اللازمة للمناهج البشرية،لأنها مناهج جزئية قاصرة،غير متوازية.عاجزة عن التصور الشامل والتجرد الموضوعي..وبالتالي فهي- بالرغم عنها أو بإرادتها -منحازة منحرفة.

ولئن كانت الطبقة الرأسمالية في التجمع الرأسمالي(الليبرالي) هى الطبقة المسيطرة المتمتعة بالخيرات والسيادة،فإن" الطبقة العمالية" في النظرة الشيوعية هي المسيطرة على المجتمع" هذا من ناحية النظرية فقط،وأما عملياً فالحزب الشيوعي هو الطبقة المستبدة المرفهة المنعمة..أما في الإسلام فالسيادة لله وحده،والناس سواسية كأسنان المشط،بلا طبقية أو سيطرة طبقات على أخرى.

وهم أمام القانون الإلهي سواء في الحقوق والواجبات،كل حسب إمكاناته وطاقاته،والرسولﷺ يقول لفاطمة:((يا فاطمة بنت محمد.. اعملي،فإني لا أغني عنك من الله شيئاً))..ويقول:((ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا

لعجمي على عربي،ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى)) [29].

إن جزئية هذه النظريات واختلال موازينها وقصورها وعجزها عن تحقيق الشمول والاعتدال في النظرة " للمسألة الاجتماعية"-إن هذه الخصائص القاتلة- هي السبب المباشر في الحروب الدموية والصراعات الطبقية،وأساليب الانقلابات التي تهدد البشرية بمصير نكد،وتضع حضارة القرن العشرين في مهب الريح،فإما أن ينقذها الدين الوحيد المنزه عن هذه العيوب،الكفيل بتحقيق الصياغة الوحيدة الملائمة للإنسان وللحياة الإنسانية،وإما أن يصيب هذه الحضارة ما أصاب ما قبلها من الحضارات التي فشلت في تعديل مسيرتها..وليس ما يصيبها إلا المصير الوحيد الذي حدده كتاب سماوي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه:﴿ **حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [يونس:24].

6 – مقومات المجتمع الإسلامي:

المجتمع الإسلامي هو هذه الهيئة المعنوية والمادية التي تضم المسلمين الذين رضوا الإسلام دينا،عن طواعية،وإيمان وإرادة ذاتية.

---

[29] رواه البيهقي.

وهذا المجتمع وإن ارتبط منذ الهجرة إلى المدينة بشكل فريد من أشكال الدولة- إلا أن ثمة فروقا أساسية يتميز بها هذا المجتمع عن غيره من المجتمعات التي نشأت في التاريخ.

فهذه الصورة الشاذة كانت تجري غالبا من قبل الحكام الذين كثيرا ما انفصلت عنهم الجماهير نفسيا وفكريا،وهذه الصور- أيضا - كانت تقابل باستياء عام من الحس الإسلامي الذي كونه القرآن،والذي يستلهم من حياة النبي - عليه الصلاة والسلام- في ارتفاعها وعظمتها ومثله الأعلى وأمله المنشود،ولعل هذه الصور الشاذة التي استهجنها المجتمع الإسلامي كانت أمرا مألوفا وقانونيا في المجتمعات الجاهلية التي عاشت - ولا تزال تعيش- على هذه الأرض.

أما القاعدة في هذا المجتمع،فهو أنه مجتمع بشري راق عقليا وخلقيا وماديا،وأنه مجتمع هدفه إعلاء كلمة الله في الأرض،عن طريق تحقيق المقومات الإسلامية للمجتمع،وأهمها:

[1] العقيدة.
[2] التكافل الاجتماعي.
[3] الأخوة.
[4] المساواة.
[5] التوازن بين الفرد والمجتمع.

وفي إيجاز نتناول هذه المقومات في الصفحات التالية بإذن الله.

الأساس الأول : "العقيدة"

يرتكز المجتمع الإسلامي بالدرجة الأولى على دعامة العقيدة،ولقد مكث الرسول ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة ينشر العقيدة،ويزرعها في نفوس المسلمين،حتى إذا ما وجد المسلمون في المدينة مكانهم الملائم للعمل الآمن للإسلام كان سهلاً أن تنشأ دولة الإسلام في واقع الأرض؛لأنها كانت قد نشأت في داخل النفوس والضمائر والعقول.

والإسلام ليس نظرية إصلاحية في مجال من مجالات الحياة،بل هو – قبل كل شئ –عقيدة دينية،يقيم كل نظراته في المجالات المختلفة على أساس من تصوره العقدي الرباني.. ويرى علماء التوحيد أن الإيمان هو الاعتماد الجازم (وليس المذبذب) المطابق للواقع- وليس الباطل- الناشئ عن دليل(ليس تقليداً أعمى)..هذا الاعتقاد هو الأساس السليم للإسلام وللمجتمع المسلم.

إن العقيدة غذاء الروح،كما أن الطعام غذاء الجسم،والمذاهب التي تغذي الجسم فقط تذبل،وتموت؛لأنها لم تدرك فطرة الإنسان ولم تشبعها.

أما الإسلام فقد أدرك هذه الفطرة وقد أشبعها -أيضاً-
كما أن من خصائص العقيدة أنها تملك قوة وسلطانا على الفكر

والإرادة لدى الإنسان،فتدفعه إلى أنواع من السلوك الذي يتلاءم مع مقتضيات هذه العقيدة،بل كثيراً ما تدفع العقيدة الإنسان إلى كثير من الأفعال الكبيرة والخطيرة تلبية لنداء العقيدة التي يؤمن بها[30] .

إن علاقة العقيدة الإسلامية بالنظام الاجتماعي الإسلامي علاقة قوية جلية مؤثرة؛لأن هناك ترابطاً أكيداً في الإسلام بين العقيدة والشريعة.. وهذه العلاقة أساسية في التصور الإسلامي.

ذلك؛لأن النظام الاجتماعي في الإسلام فرع عن التفسير الشامل لهذا الوجود،ولمركز الإنسان فيه ووظيفته وغاية وجوده الإنساني..وكل نظام اجتماعي لا يقوم على هذا الأساس هو نظام مصطنع لا يدوم أو لا يعيش،وإذا عاش فترة شقي به الإنسان ،ووقع في التصادم بينه وبين الفطرة الإنسانية حتماً،فهي ضرورة تنظيمية كما أنها ضرورة شعورية [31].

وفي ظل هذا الارتباط الوثيق بين العقيدة والنظام الاجتماعي الإسلامي يمكننا بإيجاز بيان آثار العقيدة في بناء المجتمع الإسلامي..وفي النقاط التالية:

[1] تغيير العقيدة الإسلامية للفرد من الداخل،بحيث يصبح هذا الفرد خاضعاً خضوعاً كاملاً للمقتضيات الروحية المتفوقة

---

[30] بتصرف من"مبادئ الثقافة الإسلامية" د/ فاروق النبهان،ص102.

[31] انظر" خصائص التصور الإسلامي"للأستاذ سيد قطب،25ط2.

على المقتضيات الجسدية،ونماذج بلال بن رباح الذي احتمل العذاب الشديد وأصر على دينه،والأنصار الذين اقتسموا مع إخوانهم المهاجرين كل شئ يملكونه دون تحفظات أكبر دليل على سيطرة الروح على المادة وقيادتها المطلقة للمجتمع الإسلامي.

[2] إشعال هذه العقيدة لجذوة الجهاد..أى الرغبة القومية في نشر كلمة الله في الأرض،والتضحية في سبيل ذلك بالنفس والمال،مما أعطى المجتمع الإسلامي إمتداده البشري والفكري المعروف في التاريخ [32].

[3] تحرير هذه العقيدة الناس من عبودية الخرافات والأوهام على أساس الثقة في الله وحده، وعدم الخضوع لغيره،وإعطاء هذه الدنيا حجمها الملائم دون تفريط أو إفراط.

[4] تنظيمها للمجتمع على أساس الحاكمية لله، والخضوع للحق والعدل [33].

[5] إنقاذها المجتمع من الخواء الروحي والفراغ النفسي والقلق والأمراض العصبية والخلقية التي تضج منها المجتمعات المادية،وملء النفس بالطمأنينة والسكينة والثقة **﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾** [الرعد:24]..**﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾** [الفتح:4] .

---

(32) راجع فصل" أثر الفكرة الدينية"في كتاب" شروط النهضة" للأستاذ مالك بن بني

(33) انظر: د. فاروق النبهان"مبادئ الثقافة الإسلامية"،ص 114.

الأساس الثاني:التكافل الاجتماعي

يقيم الإسلام علاجه للقضايا الاجتماعية والاقتصادية على أساس معنوي نابع من الإطار الأخلاقي والإنساني الذي تتكئ عليه كل القوانين الإسلامية.

وعلى الرغم من أن الإسلام قد قدم إطاراً قانونياً متكاملاً لتحقيق العدالة الاجتماعية،إلا أن الأساس المعنوي الإنساني بقى هو الميزة الكبرى التي انفرد بها هذا الدين.

والأساس المعنوي يقوم على مخاطبة الإنسان من داخله،وليس مجرد قيادته من ظاهره،وتحريك ضميره بدل سوقه بالقوة القاهرة،واستجاشة مشاعر الفطرة النبيلة بدل تحويل الحياة إلى صراع كئيب.

والحق أن الإسلام في تشريعه الاجتماعي قد اعتمد هذا الأساس المعنوي على نحو لم تصل إليه أرقى النظم التي ظهرت في التاريخ،وقد أطلق على هذا الأساس اسم"التكافل الاجتماعي" ولئن كانت بعض البلدان غير" الإسلامية" قد بدأت تلجأ إلى أسلوب التكافل الاجتماعي عن طريق ما يسمى بالجمعيات الخيرية،ومؤسسات البر، والمستوصفات والمستشفيات المجانية،والضمان الاجتماعي وحماية الضعفاء وما إلى ذلك.. إذا كان الأمر كذلك فليس ما تفعله هذه الدول إلا تقليداً متأخراً منها لما جاء به الإسلام منذ أربعة عشر

قرناً، بعد أن طحنتها القوانين الجافة وأساليب الصراع الاجتماعي.

ومع ذلك فهناك فروق أساسية بين الاصلاحات الاجتماعية لهذه الدول،وبين النظرة الإسلامية أهمها:

[1] أن إصلاحاتها لا زالت في دائرة الماديات فقط،ولم تتسع إلى دائرة قول الله ﴿ **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى** ﴾ كما أنها لم تستطع الارتفاع إلى مستوى قول الرسول - عليه الصلاة والسلام:(**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد** الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى)[34] .

[2] وهذه النظم جعلت هذه الاصلاحات ،أو الكفاية الاجتماعية مقابل واجب مادي يلتزم به الفرد،أما في الإسلام فلا مقابل،إذ أن التكافل يعتمد على فضول مال الأغنياء، وعلى الدولة.

[3] ثم إن هذه النظم تعتمد على القانون وحده،أما الإسلام فيعتمد على إثارة الضمير وتوجيه الوجدان وتحريك المشاعر[35] .

[4] الإسلام يمزج في تكامله بين القواعد الدينية والقواعد التشريعية،ويجعلها كلها عبادة يثاب على أداء حقها

---

[34] رواه البخاري ومسلم.

[35] راجع عبد الكريم عثمان"معالم الثقافة الإسلامية"،252،253بتصرف وراجع "العدالة الاجتماعية" للأستاذ / سيد قطب،ص 63.

كاملاً،فالمجتمع الإسلامي لا يقوم على تجمع مادي جغرافـــي بشري،بل يقوم على تجمع عقدي روحي تعتبر العقيـــدة فيـــه عنصـــراً للتوحـــد الاجتمـــاعي،والـــترابط الشـــعوري، والأخوة الإنسانية.

[5] هذا بالإضافة إلى أن التكامل الاجتماعي فـــي الإســـلام إذ ينبثق من الخصائص الإنسانية التي أحلها القرآن والسنة،يصبح أداة فعالة في حفظ كيان المجتمع الإســـلامي مـــن الخـــذلان والتدهور[36] ، أى أنه تكافل من المجتمـــع والأفـــراد تعـــود نتائجه - أيضا- على المجتمع والأفراد.

* * *

[36] مجلة الأصالة الجزائرية"، عدد 13،ص 49.

مظاهر التكافل الاجتماعي في الإسلام

تتعدد صور التكافل الاجتماعي في الإسلام،فتمتـد إلـى كـل العلاقات الاجتماعية،لكننا نستطيع أن نوجز أهمها في المظاهر التالية:

1- التكافل الخلقي: ويقصد به إيجاد تعاون اجتماعي عـام لإيجاد روح اجتماعية تنكـر المنكـر وتشـيع المعـروف: **﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾** [آل عمران:104] .فكل فرد من المجتمع الإسلامي،وكل مسئول عن موقع ما،مهما اختلفت المستويات والطاقات،مسئول عن إشاعة المعروف وإزالة المنكر: (مـن رأى منكم منكراً فليغيره بيده،فمن لم يستطع فبلسانه،فمـن لـم يستطع فبقلبه، وهو أضعف الإيمان) [37] .

كما أن المجتمع- أفراداً أو حكومات- مسئول عـن حماية دماء الناس وأعراضهم وأموالهم (كل المسـلم علـى المسلم حرام،دمه وعرضه،ومالـه)[38] ؛وذلك ليشـيع الأمـن والخير والحب في المجتمع.

2- التكافل الذاتي :أي رعاية الإنسان لنفسه،عن طريـق تزكيتـها**﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن**

---

[37] رواه مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي.

[38] رواه الشيخان.

دَسَّاهَا ﴾ [الشمس:9،10]،والارتفاع بها والسير في طريق النجاة،﴿ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة:195] .

3- التكافل الأسري: أي رعاية الإنسان لأهله..لوالديه وإخوته وزوجته وأولاده،وقد روى النسائي عن طارق المحاربي قال:(قدمت المدينة فإذا رسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب الناس وهو يقول: يد المعطى العليا وابدأ بمن تعول:أمك وأباك فأختك وأخاك،ثم أدناك أدناك)،ومن ذلك- أيضا- قول القرآن الكريم:﴿ **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ .

4- وهذا التكافل الأسرى يمتد ليشمل كل ذوى الأرحام،وقد أعطى الإسلام ذوى القربى حقوقاً من حقهم أن يطالبوا بها قانونياً قال تعالى :﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ** ﴾ " وقيمة هذا التكافل في محيط الأسرة أنه قوامها الذي يمسكها والأسرة هى اللبنة الأولى في بناء المجتمع،وهي تقوم على الميول الثابتة في الفطرة الإنسانية، وعلى عواطف الرحمة والمودة،ومقتضيات الضرورة والصلة".

5- حق الجار والقرآن يقول في حق الجار:﴿ **وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ** ﴾[النساء:36] ،وقال - عليه السلام-:(أحسن إلى جارك

تكن مسلماً) [39]، وقال أبو ذر الغفاري: عن رســـول الله ﷺ:
(أوصاني خليلي ﷺ .. إذا طبخت فأكثر المرق،ثم انظر بعض
أهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها)[40] .

" وليس الجار هو الملاصق كما يظن بعض الناس،فقد
روى في الآثار أن أربعين داراً جار، وفسرها بعضهم بأربعين
من كل جهة من الجهات الأربع، فأهل كل حـــي إذن جـــيران
بعضهم لبعض قالت عائشة:قلـــت: يـــا رســـول الله،إن لـــي
جارين،أحدهما مقبل على ببابه والآخر ناء ببابه عني،وربمـــا
الذي كان عندي لا يسعهما،فأيهما أعظم حقـــاً؟فقـــال: المقبـــل
عليك ببابه"[41]،

فالإسلام يريد أن يجعل من كل حي أو شارع وحـــدة
متكاملـــة متعاونـــة بحيـــث يحمـــون ضعيفـــهم، ويطعمـــون
جائعيم،ويكسون عاريهم،وإلا برئت منـــهم ذمـــة الله وذمـــة
رسوله،ولم يستحقوا الانتماء إلى مجتمع المؤمنين"[42] .

6 – وللفقراء والمعوزين حق فـــي مـــال الأغنيـــاء،إلـــى أن
يكتفوا،إذا لم تكفهم الزكاة المفروضة،ويقول الإمام أبو محمـــد

---

[39] رواه ابن ماجه.

[40] رواه مسلم. انظر:

[41] انظر:"مشكلة الفقر وكيف عالجها الاسلام "،للدكتور/
يوسف القرضاوي،ص130 .

[42] المصدر السابق.

علـــى بـــن حـــزم المتوفـــى ســـنة 456 فـــــي موســـــوعته الفقهية"المحلى"عن ذلك:" وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم،ويجبرهم السلطان على ذلـــك،إن لـــم تقـــم الزكاة بهم، ولا في سائر أموال المسلمين بهم، فيقام لهم بمـــــا يأكلون من القوت الذي لابد منه،ومن اللباس للشتاء والصيـــف بمثل ذلك،وبمسكن يكنهم مـــن المطـــر والصيـــف والشـــمس وعيون المارة..

وقال ابن حزم أيضا: (ولا يحل لمسلم مضطـــــر أن يأكل ميتة أو لحم الخنزير وهو يجد طعاماً فيـــه فضـــل عـــن صاحبه المسلم أو الذمي؛لأنه فرض علـــى صـــاحب الطعـــام إطعام الجائع،فإذا كان ذلك كذلك فليس بمضطر إلى الميتـة ولا إلى لحم الخنزير،وله أن يقاتل عن ذلك،فإن قتل المانع فـــإلى لعنة الله،لأنه منع حقاً،وهو طائفة) [43] .

7 – كفالة أهل الذمة،ففي المجتمع الإسلامي يمتـــد التســـامح ليشمل كل الخـــاضعين للقـــانون،المنضويـــن تحـــت حمايـــة المجتمع الإسلامي.

وقد منح الإسلام أهل الذمة من أهـــل البلـــدان التـــي فتحها حقوقاً تمنحهم الأمان والاطمئنان علـــى معتقداتـــهم،إذا شاءوا البقاء عليها،ما لم يقفوا في وجه الإســـلام بطريـــق أو

---

[43] المحلى،جــ 6 كتاب الزكاة،مسألة 725.

بآخر، وفي سلوك الرسول- عليه الصلاة والسلام- مع يهود المدينة،وسلوك المسلمين بعد ذلك على امتداد التاريخ ما يؤكد سمو المعاملة التي عومل بها هؤلاء ،ونحن نجد في كتب "النظم الإسلامية" مثل: " كتاب الأموال"،لأبي عبيد القاسم بن سلام،و"كتاب الخراج" لأبي يوسف،و" كتاب الخراج" لقدامة ابن جعفر،و"كتاب الأحكام السلطانية" لأبي حسن الماوردى[44]،نجد في هذه الكتب وغيرها تفاصيل المعاملة النادرة السامية التي عومل بها هؤلاء الذميون.

ولعل من أكبر صور السمو في هذه المعاملة تلك الكفالة الاجتماعية التي ضمنها المجتمع الإسلامي لهؤلاء في حالات عجزهم وضعفهم،وقصة عمر بن الخطاب مع اليهودي وفرضه له مالاً- راتباً- من بيت مال المسلمين أكبر دليل على ذلك.

هذه هى بعض صور التكافل الاجتماعي،وثمة صور أخرى كثيرة تلتزم بها الدولة الإسلامية،وصور أخرى تقوم على الصدقات الفردية والكفارات والنذور والأوقاف.

وهذه الصور طبقها المسلمون،وأسهمت في خلق مجتمع إسلامي متكافل نادر المثال في التاريخ.

---

[44] د/حسين مؤنس:"عالم الإسلام"،ص295.

وقد سرد-المرحوم-الدكتور مصطفى السباعي[45] ، ثلاثين مظهراً من مظاهر التكافل الاجتماعي في العالم الإسلامي،من بينها إنشاء المساجد والمدارس والمستشفيات والفنادق المجانية للمسافرين،والزوايا،والسقايات التي تسقى الناس،وبيوت الحجاج العابرين،وحفر الآبار من الفلوات،وأمكنة المرابطة على الثغور،وأوقاف الخيول والسيوف على المجاهدين، وأوقاف إصلاح الطرق والقناطر والجسور،وشراء أكفان الموتى،ومؤسسات الأيتام واللقطاء،ومؤسسات تحسين أحوال المساجين،ومؤسسات لإمداد العميان والمقعدين بمن يقودهم ويخدمهم.

هذه المؤسسات التي عرفها المجتمع الإسلامي،وحقق من خلالها أروع نماذج التكافل الاجتماعي ..هذه المؤسسات كانت تطبيقاً عملياً لمبدأ التكافل الاجتماعي الذي نادى به القرآن حين نادى جماعة المسلمين:﴿ **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى** ﴾ .

الأساس الثالث : الأخوة

الأخوة العامة بين المسلمين أساس من أسس تكافلهم الاجتماعي إنسانياً ومادياً،والقرآن يجلى هذه الأخوة وخصائصها عندما يقول: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الحجرات:10] ،

---

[45] في كتابه:من "روائع حضارتنا".

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29].

وعندما هاجر الرسول- عليه الصلاة والسلام - إلى المدينة كانت المؤاخاة بين المسلمين من أولى الركائز التي اعتمد عليها في بنائه لمجتمع المسلمين،وقال لأصحابه من المهاجرين والأنصار: (تآخوا في الله أخوين أخوين) فكان هذا التآخي-بما انبثق عنه من ترابط وتكافل اجتماعي وإيثار نادر في التاريخ البشري كله-كان هذا التآخي" تجربة رائدة" في تاريخ العدل الاجتماعي ضرب فيه الرسول- عليه الصلاة والسلام- مثلاً على مرونة الإسلام وانفتاحه في الظرف المناسب على أشد صور العلاقات الاجتماعية مساواة وعدلاً [46].

وقد بلغ من تأكيد الرسول عليه الصلاة والسلام - على المؤاخاة أن كان ميراث الأنصاري يؤول بعد وفاته إلى أخيه المهاجر بدلاً من ذوى رحمة من الإخوة أو الأبناء أو النساء، واستمر الحال على ذلك حتى موقعة بدر التي حظى فيها المسلمون بمقادير لا بأس بها من الغنائم والأموال،فأنزل الله تعالى في سورة الأنفال: **﴿ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾** " فعاد التوارث لسيرته الأولى" [47] .

---

[46] /عماد الدين خليل:"دراسة في السيرة "ص 154.

[47] المصدر السابق،ص 152.

و لا نظن مجتمعاً من هذه المجتمعات التـــي تتشــدق بالعدالة الاجتماعية تحت شعارات الاشتراكية أو غيرها يحلـــم بالوصول إلى شئ من هذه الصورة التـــي صورهـــا القـــرآن أصدق تصوير بقوله:﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الــدَّارَ وَالْإِيمَـــانَ مِـــن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَــةً مِّمَّـــا أُوتُـــوا وَيُؤْثِـــرُونَ عَلَـــى أَنفُسِـــهِمْ وَلَـــوْ كَـــانَ بِـــهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ [الحشر:9] .

إن الأخوة بين المسلمين من أعظـــم المبـــادئ التـــي ارتكز عليها التكافل الاجتماعي في الإسلام.

بيد أن هذه الأخوة التي تجسدت عملياً في المؤاخـــــاة بين المهاجرين والأنصار كأول صورة تطبيقيـــة لـــها- هـــذه الأخوة للأسف الشديد- لم تحظ مــــن المؤرخيـــن بالاهتمـــام الكافي، مع أنها أبرز الظواهر التي تخرس الدعـــاة المزيفيـــن للعدالة الاشتراكية في العصر الحديث،وتكشف بجلاء عن مدى عظمة النظرة الإسلامية لعلاج " المسألة الاجتماعية".

وجدير بالتنويه هنا أن هــــذه الأخـــوة ممتـــدة بيـــن المسلمين إلى يوم القيامة ولئن كـــانت قـــد توقفـــت كأســـاس للتوريث،فإنها لم تتوقف كمبدأ إنساني اجتماعي أساســـي فـــي حياة الجماعة الإسلامية؛لأن محمداً- عليه الصلاة والســـلام - لم يقررهـــا لمجـــرد إيجـــاد وســـيلة لمعاونـــة المـــهاجرين

المحتاجين،وإنما قررها ليؤكد للجماعة الإسلامية مبدأ الأخـــوة في العقيدة والهدف والمثل الأعلى بين أهل الجماعة الواحدة.

ولو أن كل جماعة إسلامية حرصت على تطبيق مبدأ المؤاخاة،وربط أفرادها اثنين اثنين بروابط أخوة قلبية وإنســانية ومثالية،لكان لذلك أثره البعيد في تطور العلاقات الإنسانية فــي داخل الجماعات الإسلامية،ولكانت هذه الروابط الروحية بيـــن الناس قد أصبحت عوامل قوة دائمة تعين الجماعة الإســـلامية على الثبات والسير إلى الأمام[48] ، فضلاً عن حفظها لكيــــان المجتمع كأقوى ما يكون ترابطاً وتعاوناً وحباً.

الأساس الرابع: المساواة.

تعتبر المساواة بين الناس ركيزة اجتماعية أصيلة فـــي المنهج الإسلامي :**﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّــن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْــهُمَا رِجَــالاً كَثِــيرًا وَنِسَاء﴾** [النساء:1] .

وهكذا،ومنذ الأصل والنشأة،كانت المساواة أصيلة فـــي المنهج الإسلامي ويمثل النبي عليه الصلاة والســـلام- أقــوى وأول تطبيق حي لهذه الركيزة في الإسلام.

---

[48] د/ حسين مؤنس : "عالم الإسلام" ص 139.

إنه - عليه الصلاة والسلام- كان يمشى في دروب المدينة، وفي أسواقها،ومع أهلها صغاراً وكباراً،أغنياء وفقراء..كما يمشي كل الناس.

كان بسيطاً في ملبسه ومأكله،لا يكاد يمتاز على الناس بشيء فهو يأكل كل ما تيسر له من الطعام المباح إذا وجد،ويكتفى بتمرات إذا لم يجد غيرها،يجوع كالناس.

ولما بادر -عليه الصلاة والسلام- إلى إنشاء الجماعة الإسلامية لأول نزول المدينة، لم ينشئها في صورة نفر من الحواريين أو الدعاة،وإنما أنشأها في صورة مجتمع إنساني متساو متكامل يمثل جمعية " أمة الدعوة"، بلا أفضلية طبقية، لا من جهة أصول الدين،ولا من جهة التطبيق في الدنيا،وإنما تحدد الأفضلية على أساس: ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ .

وبينما يحكى النصارى أنفسهم أن عيسى - عليه السلام- كان لا يسير إلا وسط حوارييه، ولا يتكلم إلا معهم، وإذا تكلم مع غيرهم عد هذا أمراً غريباً ينطوى على حكمة بالغة،وكلامه كله رموز ومجازات وكنايات تحتمل معاني شتى.

بينما نجد محمداً- ﷺ يعيش وسط الناس جميعاً كواحد منهم،يتحدث إلى كل من يريد أن يستفسره في أمر، ويتكلم معهم ويداعب أطفالهم بكلام يناسبهم[49] .

---

[49] انظر: د/ حسين مؤنس :"عالم الإسلام"،ص192.

وهكذا - ومنذ البداية- كانت المساواة - نظريا وعمليا-أصيلة في المنهج الاجتماعي الإسلامي.. ولا يؤثر في ظل ذلك أن يتمايز الناس ثراء وفقرا ..أو قوة وضعفا..أو كفاية وقدرة وإنتاجا ..أو علما وخبرة.. أو يتمايز في دروب الحياة كما تؤهلهم قدراتهم وأعمالهم،فإن ذلك التمايز كله لن يغير من أصل المساواة العامة أى شئ،ولن يكون أكثر من نتيجة طبيعية لأسباب مكتسبة،بل لن يكون في حقيقته إلا التحقيق العادل لأصول المساواة ..ذلك لأن المساواة لا تعني مساواة النشيط بالكسول،والعالم بالجاهل،والمجاهد بالقاعد،والاشتراكية-هو أكبر أنواع الظلم والغبن،وهو طريق قصير لتدمير قيم العمل والكفاية والجد والتضحية والإخلاص.

والمساواة في الإسلام- بمعناها العادل الذي حددناه، ركيزة أساسية في المنهج الإسلامي لعلاج المسألة الاجتماعية،بل هى ممتدة إلى كل أشكال التعامل البشري الممثل في الصور والجوانب التالية:

[1] المساواة في الكرامة البشرية"الأصل" بلا تمايز جنسي أو قبلى ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم**﴾ [الاسراء:70] .

[2] المساواة أمام القانون،فالمسلمون - حكاما ومحكومين-أمام قانون الله سواء.

[3] المساواة أمام القضاء،فالمسلمون جميعا يحاكمون لدى محاكم واحد مهما تفاوتت مكانتهم الاجتماعية.

[4] المساواة في الحقوق المادية حسب الحاجة- عند العــوز- وحسب الطاقة والجهد عند الكفاية والثراء.

[5] المساواة في التكاليف المادية" أى الواجبات الفرديــة نحــو المجتمع"[50] ،كــل حســب قدرتــه ،وفــق شــريعة الله فــي الزكاة،وهى شريعة لا تفرق بين المسلمين.

والمسلمون اقتداء برسولهم- عليه الصلاة والســلام- لم يمارسوا المساواة،شعاراً نظرياً يتاجرون به كمــا يتــاجر الماديون،وإنما مارسوها حقيقة معاشة ممتدة إلى داخل أنفســهم تنتزع منها كل نواحي الأثــرة والأنفــة والشــعور الجــاهلي بالتعالى والفوقية الطبقية.

وهل ينتظرون شيئاً بعد أن ســمعوا مــن رســولهم العربي الهاشمي قوله: سلمان مناأهل البيت" أجل سلمان مــن أهل البيت؛لأنــه عمــل صــالح،وكــل عمــل صــالح هــو من دوحة النبوة.

ومن سلمان هذا؟ إنه ابن " موبذان" في إحدى قــرى فارس،وقد ظل يتنقل من رق إلى رق قبل أن يبعث النبي، فلما أسلم انتقل هــذا العبــد- بالإســلام- إلــى حــاكم لعاصمــة الإمبراطورية الفارسية التي كان بــالأمس أحــد رعاياهــا.. بل عبيدها!

---

[50] د/فاروق النبهان:"مبادئ الثقافة الإسلامية"،صفحات:ص 253-256.

وبلال الحبشي " العبد الذي اعتقه أبو بكر" يقول فيه عمر بن الخطاب - خليفة المسلمين العظيم: " أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا".

وسالم مولى أبي حذيفة كان يرى فيه عمر أهلاً للخلافة،وهو القائل فيه: " لو كان سالم حياً لاستخلفته" [51] .

إنها تطبيق حي عملي.. نابع من تصور إسلامي ممتزج بالعقل وبالقلب،قادر على اجتثاث كل مظاهر الطبقية،وليس مجرد مظاهر خارجية،لعل التاريخ لم يشهد-فيما شهد- مثل هذه المساواة.

لكن هل يعنى ذلك أن الإسلام- والمجتمع الإسلامي- لم يتفاضل فيه الناس معنوياً أو مادياً؟

لقد ذكرنا من قبل أن المساواة الحقيقية لا تعنى تحويل الناس إلى قوالب من حجارة دون تفاضل في الخبرة أو العلم أو القوة والضعف.

الطبقات في المجتمع الإسلامي:

أجل..هناك طبقات في المجتمع الإسلامي،لكنها طبقات لا تنتمى للمعنى الطبقى السائد في أوروبا،والمجتمعات الشيوعية المادية.

إنه مجرد تصنيف فكرى واقتصادى للناس.. مجرد تفاوت يرصد الواقع الذي لا تستقيم الحياة إلا بتنوعه.

---

[51] نقلاً عن أبي الحسن الندوى: "ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين":ص109-110.

والقرآن الكريم والسنة الشريفة يبرزان هذا التفاوت الضروري بين الناس:

[1] ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:13] .

[2] ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11] .

[3] ﴿ لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ [النساء:95].

وثمة آثار كبيرة تبرز هذا التفاوت الضروري،كتفضيل المؤمن القوي على المؤمن الضعيف،وتفضيل من أسلم قبل الفتح على من أسلم بعده،وتفضيل أهل بدر.. وهكذا،لكنها كلها أنواع من التفاضل لا تغلق باب التكافؤ في الفرص،ولا تفرق بين مسلم وآخر أمام القانون،ولا تنقص من حقوق أحد شيئاً.

وحتى التقسيم الاجتماعي لبعض الطوائف العاملة في المجتمع كتقسيمهم في بعض كتب النظم الإسلامية إلى " أرباب دولة" و" أرباب صنائع" و" أجزاء".

تقسيمهم على هذا النحو كما نرى- تغلب عليه المهنية والحرفية لا الطبقية وهو رصد للواقع،لا يفرض حواجز بين الطبقات كالحواجز التي كانت تفصل السادة عن الأقنان،

أو الأشراف عن الغوغاء في المجتمعات غير الإسلامية،بل إن التلاحم عن طريق المصاهرة والمعاملات الاجتماعية قائم بين هذه الشرائح،وكلها- أيضا- أمام القانون والقضاء سواء،بل إن كلها في الصلاة والحج سواء.

ونختم حديثنا عن المساواة الإسلامية بهذا المثل القاطع الدلالة على مدى استئصال الإسلام للنزعات العنصرية والطبقية،وإقراره للتفاوت الخلقي والسلوكي والفكري وحده.

تحكى كتب التاريخ أنه لما ذهب المسلمون لفتح مصر،وتوغلوا فيها حتى وقفوا أمام بابليون رغب المقوقس في المفاوضة مع المسلمين،فأرسل إليهم وفداً ليعلم ما يريدون، ثم طلب أن يرسلو إليه وفداً،فأرسل إليه عمرو بن العاص عشرة نفراً فيهم عبادة بن الصامت،وكان عبادة شديد السواد طويلاً حتى قالوا إن طوله عشرة أمتار،وأمره عمرو بن العاص أن يكون هو الذي يتولى الكلام مع المقوقس، فلما دخلوا على المقوقس تقدمهم عبادة،فهابه المقوقس لسواده،وقال لهم:نحوا عنى هذا الأسود وقدموا غيره يكلمني،فقال رجال الوفد جميعاً: إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً،وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا، وإنما نرجع جميعاً إلى قوله.

فقال المقوقس:وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم؟وإنما ينبغى أن يكون هو دونكم؟قالوا:كلا،إنه وإن كان أسود كما ترى فإنه من أفضلنا موضعاً وسابقة وعقلاً ورأياً،

وليس ينكر السواد فينا،فقال المقوقس لعبادة: تقدم يـــا أســود وكلمني برفق فإني أهاب سوادك،وإن اشتد كلامك على ازددت لك هيبة.

فقال عبادة- وقد رأى فزع المقوقس من الســواد:(إن في جيشنا ألف أسود هم أشد سواداً منى) [52] .

وبعد قليل فتح جيـــش المســاواة والعدالـــة مصـــر، وانتصروا على المقوقس والرومان جميعاً.

الأساس الخامس : التوازن بين الفرد والمجتمع

لعل البشرية ما شقيت بقضية كقضية علاقـــة الفـــرد بالمجتمع فمعظم الانقلابات،والثورات والمذاهب المتصارعـــة في عالم اليوم إنما تتصل بهذه القضية بسبب أو بآخر.

والغريب... أن هذه المذاهب كلها نسيت في غمـــرة صراعها- قوانين الفطرة،ونسيت أن الفرد أســاس المجتمـــع، وبالتالي فبدون فرد قوى يستحيل قيام مجتمع قوى.

وقد نسيت- أيضا-أن النزعـــة الفرديـــة والشــعور الاستقلالي للذات نزعة فطرية لا يمكن سحقها إلا إذا ســـحق الإنسان كله.

ونسيت أن هذا الإنسان الفرد كائن اجتمـــاعي،وأنـــه بدون تجميع-بدءاً من آدم وحواء- لم يكن في الإمكان تطـــور التجمع البشري واستمراره.

---

[52] نقلاً عن:" من روائع حضارتنا" للمرحوم الدكتور/ مصطفى السباعي،ص65.

أى أنها نسيت- بتعبير وجيز-أن النزعة الاجتماعيـــة ضرورية وفطرية أيضا.

إن الخطين معاً- الخط الفردي والخط الاجتمـــاعي - فطريان،ففي كل نفس سوية ميل للشعور بالفرديـــة المتمـــيزة بالكيان الذاتي،وميل مقابل للاندماج في الجماعة والحياة معـها وفي داخلها.. ومن هذين الميلين معاً تتكون الحياة" [53].

إن الإنسان حين يجوع وحين يتألم وحين يفرح وحيـن يؤدي عملاً وحين يحب الخير لنفسه..في كل هـــذه الحـــالات وغيرها يفعل ذلك ويحس بها انطلاقاً من فرديته وحدها،لكنـــه مع ذلك يستمد نزعته الاجتماعية من ميله للأصدقاء والزمـــلاء والجيران، وحاجته إلى المعاونة إلى الأهل والأقارب..أى أن الخطين- بإيجاز - ضروريان ومتكاملان" [54].

وقد ذهبت الرأسمالية في الغرب إلى إبراز الفرديـــة وتعميقها،حتى لا يبقـــى للكيـــان الاجتمـــاعي إزاء طغيانـــها وجود ملائم.

وفي المقابل،ذهبت الشيوعية والاشتراكيات إلى إبـراز الجماعة،محطمة في طريقها كل نزعة فردية في الإنسان..

ففي هذه المجتمعات لا وجود للإنسان الفرد بـــالمعنى الوجودي الحقيقي،فالمواطن ليس إلا عددية مهنية، لا رأى لـــه

---

[53] الأستاذ : محمد قطب،"دراسات في النفس الإنسانية"،ص130..

[54] راجع فصل: " الفردية والجماعة" المرجع السابق.

ولا إرادة ولا إمكانية استقلال فـــردي فـــي أى جزئيـــة مـــن جزئيات الحياة.

والمذهبان- كمـــا نـــرى- متناقضـــان مـــع قـــانون الفطرة،وكلاهما لا يؤدي إلى تحقيق الفرد الراشد أو المجتمـــع الراشد،بل يؤديان إلى نتيجة سيئة هى طحن الفرد والمجتمـــع مهما طال الزمان.

أما منهج الإسلام في علاج هذه العلاقـــة باعتبارهـــا جزء من منهجه في علاج المسألة الاجتماعية،فيتلخـــص فـــي المقومات التالية:

[1] يحفظ الكيان الفردي،مع الملاءمـــة بينـــه وبيـــن الكيـــان الاجتماعي، فهما ليسا طرفى نقيـــض بـــل همـــا متكـــاملان متعاونان.

[2] إحداث توازن بين الفرد والمجتمع،في مجال حقوق كل منهما،وواجباته.

[3] إحداث توازن نفسي وخلقي في داخل الفرد، ليكون منطلقـــاً لتوازنه مع المجتمع.

[4] والمجتمع- أيضا- بطبقاته المتوازنة ،وقيمـــه الإســـلامية المتوازنة مادياً وروحياً- يفرض توازنه على الفرد.

[5] ومما يدعم هذا التوازن إقامته في الإسلام- علـــى وعـــى المسلم بحق الجماعة،وشـــعوره بـــالواجب،وتنديـــد الإســـلام بالنزعات الانعزالية التي تنمى الأثرة والفردية ،وجعل الإسلام

كل عمل اجتماعي نافع عبادة من أفضل العبادات إذا توفــرت النية الحسنة" [55]

[6] ويقرر الإسلام أن التعاون في المجتمع من قبل الفرد، إنمــا يتم اختيارياً عن رغبة ذاتية،وهذا التعاون ليس قاصراً علـــى جانب واحد،ولكنه متعــدد الجوانـــب ويتعــدد فيــه التــوازن والتعادل،حتى لا تقوم ظواهـــر الحقــد الطبقـــي، والصـــراع الاجتماعي.

[7] وهذا التوازن تصونه عقيدة دينية، تهذب ضمير الفرد فـــي جانب من جوانبها، وتحفظ للجماعة قوتـــها وســـلامتها فـــي جانب أخر.

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَـــى النَّـــاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:143].

[55] لمحات في الثقافة الإسلامية،بتصرف ،ص 242.

خاتـــمة

من خلال ما سبق يتضح لنا بجلاء أن الأستاذ الدكتور/ عبد الحليم عويس من الشخصيات العلمية الفذة، ومن المفكرين الكبار أصحاب العقول السليمة ،والفكر الحر المستنير وأنه دائم الشوق والزيادة إلى المعرفة العلمية والدينية والفلسفية .

إن الأستاذ الدكتور/ عبد الحليم عويس قدم في مجال الفكر والعلم تجارب خصبة لها تأثيرها بلا شك على أبناء جيله وعلى الأجيال القادمة، وعموماً فلقد قدم للإنسانية ما ينفعها، ولا يزال عطائه مستمراً في مجالات عديدة، وهو لا يكل ولا يمل من البحث حتى يصل إلى المعرفة واليقين .

وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى عدة نتائج هامة تتلخص فيما يلي:

[1] ضرورة دراسة المفكرين واتجاهاتهم وأفكارهم ودورهم البارز في خدمة قضايا الفكر الإسلامي ومشكلات المسلمين في شتى بقاع الأرض .

[2] أن الاجتهاد الفكري السليم لابد منه في محاولة لتجاوز آثار القراءات الاستشراقية العدائية .

[3] ضرورة المتابعة المستمرة لأعمال المفكرين البارزين في شتى المجالات والاستفادة من اتجاهاتهم في معالجة قضايا الفكر الإسلامي.

[4] الفكر الواعي دائما ما ينادي باتحاد أنصار الحق ودعاته أمام أعداء الإنسانية الذين يقومون بتخريب النفس البشرية، وتدمير العقل الإنساني وتشويه دوره في بناء المجتمع.

[5] بقاء الفكر الحر المستنير هو بقاء الحياة برقيها وسموها ورفعتها.

فهذه أهم وأبرز النتائج بعد البحث والملاحظة:

وأخيراً أقول إن الدكتور / عويس يستحق بجدارة أن يكتب عنه وعن مشواره وحياته العلمية ودوره المؤثر والفعال في خدمة قضايا الفكر الإسلامي والنهوض به.

المؤلف في سطور

هو : فضيلة الشيخ/ بكر إسماعيل ***Beqir Ismaili***
من مواليد شهر أكتوبر **1959/10/04**م .
المولد :جمهورية كوسوفا ***Kosova*** المسلمة
(إحدى دول منطقة البلقان) .

حياته . . ومؤهلاته العلمية :

تلقى الشيخ/ بكر إسماعيل تعليمه الأساسي في كوسوفا، وقضى مرحلة التعليم الثانوي في سوريا، وأنهى مرحلة التعليم الجامعي والعالي في رحاب الأزهر الشريف بمصر .

الوظائف التي شغلها . . والأعمال التي قام بها:

يعد المؤلف عضواً فعالاً وشخصية بارزة في العديد من المجالات العلمية والإعلامية، والسياسية، والثقافية، ... ويغطي نشاطه أصعدةً كثيرة داخل كوسوفا، كما يقوم بدور رائد تجاه قضية بلده - في مصر والعالم العربي والإسلامي، وكذلك العالم الغربي - ممثلاً، ومندوباً، وعضواً، ومحاضراً، وباحثاً، ...

وقد شغل المؤلف وظائف عديدة حيوية، من أبرزها وأهمها:

- ممثلاً رسمياً لكوسوفا في مصر .
- ممثلاً للمركز الإعلامي لكوسوفا في الشرق الأوسط .
- ممثلاً للمشيخة الإسلامية لجمهورية ألبانيا بالقاهرة .
- ممثلاً للمشيخة الإسلامية لجمهورية مقدونيا بالقاهرة .
- رئيساً لوكالة ألبا برس ***Alba Press*** بالقاهرة .
- مندوباً لبعض الصحف والمجلات والوكالات الإعلامية في جمهورية ألبانيا، كوسوفا، مقدونيا، البوسنة والهرسك.

- له دور فعال في ربط العلاقات الثقافية والدينية فيما بين الدول الإسلامية ومسلمي البلقان .
- له نشاط واسع تجاه قضايا منطقة البلقان،وبخاصة ما يتعلق منها بدولة كوسوفا، ألبانيا، مقدونيا .

الأنشطة الثقافية . . والمؤلفات العلمية:

لقد سخر الشيخ/ بكر إسماعيل وقته وجهده وقلمه من أجل قضايا منطقة البلقان بصفة عامة، وقضايا كوسوفا وطنه بصفة خاصة، وهو في ارتباطه بهذا الواجب والدور الجليل في خدمة قضايا الأمة الإسلامية .. قد ساهم في إبراز قضايا الأقليات المسلمة في هذا الجزء الغالي من الأراضي الإسلامية في أوروبا، ذلك الكيان الشامخ العريق الذي تحاول الأيادي الغربية القضاء عليه نهائياً في هذه البقعة من العالم .. لقد احتسى الشيخ/ بكر إسماعيل مرارة العدوان والحروب.. والدمار والخراب - الذي لحق بكل شبر غال في منطقة البلقان، وهو في رحلة جهاده الفكري .. قدم للقراء في العالم العربي والإسلامي عدداً من البحوث والمؤلفات القيمة.

من أبرز ما قدم في هذا النتاج العلمي الثري:

[1] أثر اللغة العربية في اللغة الألبانية .
[2] داخل محيط الحضارة الغربية " حصلت مجزرة البوسنة البشعة".
[3] أطفال كوسوفا بين مآسي الماضي وآمال المستقبل.
[4] كوسوفا أمة مضطهدة .
[5] من آثار العدوان الصربي على شعب كوسوفا : شاهد عيان على الأحداث – الأستاذ / عبد الله إسماعيل .
[6] ما هي كوسوفا.
[7] من أعلام المفكرين البارزين في كوسوفا.
[8] مساجد كوسوفا الدامية إبان العدوان الصربي على لسان شهود العيان.
[9] أحداث كوسوفا الدامية إبان العدوان الصربي على لسان شهود العيان.
[10] قضية مسلمي كوسوفا وهمومهم المأساوية في المحافظات الثلاث *Presheva , Bujanovci , Medvegja* .

[11] الحصاد المر لمذابح كوسوفا.
[12] بوادر الكارثة الكبرى في كوسوفا
لفضيلة الشيخ / توفيق إسلام يحيى .

كوسوفا واتجاهات الفكر المعاصر "سلسلة قضايا معاصرة":

[13] الأستاذ الدكتور/ محمد الشحات الجندي ..
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[14] الأستاذ الدكتور/ عبد المعطي محمد بيومي ..
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[15] الأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي ..
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[16] الأستاذ الدكتور/ محمد سيد أحمد المسير ..
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[17] الأستاذ الدكتور/ محمد رأفت عثمان ..
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[18] الأستاذ الدكتور/ الحسيني أبو فرحة ..
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[19] الأستاذ الدكتور/ إسماعيل صادق العدوى ..
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[20] الأستاذ الدكتور/ عبد الحليم عويس..
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا.
[21] الأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الجيوشي..
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا.
[22] الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ..
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[23] الأستاذ الدكتور/ عبد الصبور مرزوق ..
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[24] الأستاذ الدكتور/ مصطفى محمود ..
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[25] الأستاذ الدكتور/ محمد محمد أبو ليلة ..
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .

من أعلام الأزهر الشريف:

الفكر الإسلامي والعلوم الطبيعية:

شخصيات فكرية بارزة:

شهر 9/ 1998 م	شهر 3/2000 م
شهر10 / 1998م	شهر 4/ 2000م
شهر 11/ 1998م	شهر 5/ 2000م
شهر 12 /1998م	شهر 6 /2000م
شهر1 / 1999 م	شهر 7 / 2000م
شهر 2 /1999 م	شهر 8 / 2000م
شهر 3 / 1999م	شهر 9 / 2000م
شهر 4/1999م	شهر10/ 2000م
شهر 5 /1999 م	شهر11/2000م
شهر 6 /1999 م	شهر12/ 2000م
شهر 7 / 1999م	شهر 1 / 2001م
شهر 8 / 1999م	شهر2 / 2001 م
شهر 9 / 1999م	شهر 3 /2001 م
شهر 10/1999م	شهر 4/2001م
شهر11/ 1999م	شهر 5 / 2001م
شهر 12/1999م	شهر 6 / 2001م
شهر 1/ 2000م	شهر 7 /2001م
شهر 2/2000م	

فهرس الكتاب